



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور-خنشلة



كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم العلوم: الانسانية

الشعبة: تاريخ عام

التخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

الرقم التسلسلي:

نشاط الآباء البيض في الجزائر 1868-1954م
منطقة الشرق أنموذجاً

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة التاريخ تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إشراف الأستاذ:

د/عبد العزيز راجعي

إعداد الطالبتين:

- منال بكفيف

- منيرة طواطوة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
خليفة رفيق	أستاذ مساعد أ	عباس لغرور - خنشلة	رئيساً
عبد العزيز راجعي	أستاذ محاضر ب	عباس لغرور - خنشلة	مشرفاً ومقرراً
عيسى ليتيم	أستاذ محاضر أ	عباس لغرور - خنشلة	عضواً ممتحناً



المقدمة:

لقد شكل الصراع بين الإسلام والمسيحية صراعاً حضارياً؛ إذ يعد حلقة من حلقات الحروب الصليبية التي غذتها البابوية والكنسية؛ فقد رأى كل منهما في تواجد الآخر بالحوض المتوسط فعلاً يجب أن يقابله رد فعل. وكرد إسلامي على التواجد المسيحي بالحوض عملت القوة البحرية العثمانية على إيقاف الخطر المسيحي المتنامي في المنطقة بهدف إيجاد نوع من التوازن في إطار التحرك المسيحي الجديد ولاسيما الوجود الاسباني في السواحل الجنوبية للحوض، وقد تمكنت من بسط سيطرتها على غرب الحوض المتوسط لمدة قاربت الثلاثة قرون. لتظهر بعدها حركة استعمارية أوروبية في قارتي إفريقيا وآسيا، اللتان كانتا محل تنافس بين بلدانها بهدف احتلال البلاد واستغلال خيراتها.

لم تكن الأسباب الاقتصادية أو السياسة وحدها الكامنة وراء هذا التوجه الاستعماري الذي طال منطقة شمال إفريقيا ولا سيما الجزائر؛ بل كانت هناك أسباب أخرى ضمنية تدخل في سياق الصراع المسيحي الإسلامي تهدف إلى إعادة أمجاد روما.

وعليه تعد الجزائر جزء من هذا الصراع، حيث احتلت هذه الأخيرة من طرف فرنسا بتاريخ: 05 جويلية 1830م وكانت بمثابة مجال جغرافي هام من أجل تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعلنة وغير المعلنة وخاصة مشروعها التنصيري في إطار ربط الحركة الاستعمارية بالحركة التنصيرية.

اعتمدت فرنسا وبشكل كبير في تطبيق سياستها الدينية منذ بداية احتلالها للجزائر، غير أن مشروعها عرف نوع من التردد تارة والتأجيل تارة أخرى خلال الفترة ما بين 1830م إلى غاية 1867م، ليتخذ مشروعها التنصيري بعدها اهتمام شبه رسمي، وكان هذا من خلال توظيف وتجنيد بما يسمى بفرق الآباء البيض، الذين امتد نشاطهم ليشمل أغلب مناطق البلاد وخاصة منطقة الشرق الجزائري.

انطلاقاً من هذا جاء اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ:

نشاط الآباء البيض في الجزائر 1868-1954م - منطقة الشرق أنموذجاً.

تكمن أهمية موضوع دراستنا، كونه يعتبر أحد المواضيع المهمة في تاريخ الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، باعتبار الجزائر طرف في معادلة الصراع المسيحي الإسلامي من جهة، ومن جهة ثانية التعرف على عمق الحقد الصليبي للدولة الفرنسية تجاه الجزائر الأيالة العثمانية من خلال مشروعها التصيري الهادف إلى القضاء على الكيان الجزائري وطمس الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري.

ناهيك عن أهمية الدراسة؛ هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية دفعتنا لدراسة هذا الموضوع والتعمق فيه، فعلى غرار الأسباب الذاتية نذكر منها:

- الميول الشخصي لدراسة المواضيع الدينية.
- الاهتمام بالمشاريع الفرنسية التي استهدفت هوية المجتمع الجزائري وخصوصياته خلال فترة الاحتلال الفرنسي.
- قلة الدراسات التي تتناول مسألة التصير في الشرق الجزائري.
- أما فيما يتعلق بالأسباب الموضوعية نذكر بعض منها:
- التعرف على الأهمية التاريخية والجغرافية للجزائر بالنسبة لفرنسا في صراعها ضد الإسلام من خلال دراسة سياستها الدينية في منطقتها الشرقية وموقف السكان منها.

- تبيان مختلف الوسائل والطرق المعتمدة في تجسيد هذا المشروع.

ونسعى من خلال دراستنا هذه إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتمثلة في:

- أهمية منطقة الشرق الجزائري باعتباره جزء مكمل للمشروع التصيري الفرنسي.
- إبراز الدور المحوري للآباء البيض في تجسيد المشروع التصيري في الجزائر عامة والشرق الجزائري خاصة.

- الوقوف على تداعيات ونتائج هذا المشروع.

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بطرح الإشكالية التالية: هل تمكنت فرق الآباء البيض من تحقيق مراد السلطات الفرنسية في تجسيد مشروع تنصيرها للأهالي الجزائريين بمنطقة الشرق؟

ولإجابة على هذه الإشكالية قمنا بطرح جملة من التساؤلات التالية:

- هل اقتصر مشروع احتلال فرنسا للجزائر على الأسباب السياسية والاقتصادية أم هناك أسباب أخرى؟
- ما هو المنهج الذي اتبعته فرنسا في تطبيق سياستها الدينية بالجزائر وخاصة منطقة الشرق الجزائري؟
- ماهي الاعتبارات التي وضعتها فرنسا في تجسيد مشروعها التنصيري بمنطقة الشرق الجزائري؟
- ماهي الوسائل التي اعتمد عليها الآباء البيض في الدعوة الى المسيحية؟ وهل ثمت هناك استجابة من طرف أهالي الشرق الجزائري؟
- كيف واجه أو تصدى أهالي الشرق الجزائري لنشاط الآباء البيض؟
- وهل اقتصر الأمر على السكان العاديين فقط أم غير العاديين؟

ولدراسة هذا الموضوع وضعنا خطة بحث شملت مقدمة وثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تحدثنا فيه عن البدايات الأولى للتنصير في الجزائر قبل 1867م، من خلال التطرق الى السياسية الدينية الفرنسية تجاه الجزائر، وتداعيات معاهدة 05 جويلية 1830م بعد امضائها من طرف "الداي حسين" والقائد "دي بورمون"، وكذا التطرق الى نشأة الأسقفية في الجزائر المستعمرة. أما الفصل الثاني فتناولنا فيه التعريف بمنطقة الشرق وتضمن ثلاث مباحث، تحدثنا عن الأهمية الجغرافية والبشرية بالإضافة إلى الأهمية التاريخية والاقتصادية للشرق الجزائري. أما في الفصل الثالث فقد تحدثنا عن امتداد النشاط التنصيري للآباء

البيض نحو الشرق الجزائري من خلال ثلاث مباحث تطرقنا فيه إلى مفاهيم عامة (التتصير، التبشير، الآباء البيض)، ثم ذكرنا وسائل التتصير وعلاقتها بالوضع العام في الشرق، ووضحنا النشاط التتصيري في منطقة الشرق. ضف إلى ذلك الفصل الرابع درسنا فيه تواجد الآباء البيض بالشرق الجزائري (السياسية التتصيرية بين النجاح والفشل، المواقف وردود الفعل) والذي تضمن ثلاث مباحث كما هو مذكور؛ أنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت جملة من الاستنتاجات حول الموضوع كما زدنا هذه الدراسة بمجموعة من الملاحق، وفي الأخير قمنا بوضع قائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث، بالإضافة إلى فهرس الموضوعات.

ولدراسة هذه الخطة اعتمدنا على بعض المناهج من بينها:

المنهج التاريخي الوصفي لاستعراض الأحداث التاريخية ووصفها كرونولوجيا عبر تتبع توسع نشاط الآباء البيض بالشرق، وكذلك المنهج التاريخي الإحصائي من خلال تقديم بعض الإحصائيات المتعلقة بعدد المساجد المهذمة عدد سكان الشرق الجزائري... الخ، وعملنا على توظيف المنهج التاريخي التحليلي قصد تحليل الأحداث والوقائع التاريخية ومناقشتها وربطها ببعضها البعض.

واعتمدنا في إنجاز هذا البحث على عدة مصادر ومراجع كالقرآن الكريم، والجرائد، الكتب، كما تم الرجوع إلى بعض المقالات الأكاديمية والرسائل الجامعية، ويمكن ترتيب هذه المصادر والمراجع حسب أهميتها كالتالي:

فبالنسبة للجرائد اعتمدنا بالدرجة الأولى على جريدة المبشر والشريعة، والمصادر اعتمدنا على مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1824/1816م؛ لمؤلفه وليام شالر، وذلك في وصف جغرافية الشرق، وكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، الذي أفادنا في تتبع السياسة الدينية للإدارة الفرنسية تجاه المؤسسات الدينية بالجزائر.

أما بالنسبة للكتب فنذكر خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1871/1830م، حيث أفادنا بشكل كبير في دراستنا للحركة التبشيرية. إضافة إلى هذا اعتمادنا على سعدى مزيان: النشاط التبشيري للكاردينال لافيغري وأساليب المواجهة الجزائرية له 1892/1867م، من خلاله استطعنا تتبع نشاط الآباء البيض في الجزائر عامة والشرق الجزائري خاصة وعلى رأسهم الكاردينال لافيغري، وكذلك كتاب محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر 1904/1830م، أفادنا في توضيح وسائل الآباء البيض التبشيرية المستخدمة في منطقة الشرق.

أما الرسائل الجامعية فاعتمدنا على محمد الحاكم بن عون: المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1954/1830م، عز الدين بومزو: الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري-إرنست مرسية- أنموذجا.

إن القراءة الأولية لعنوان الرسالة: نشاط الآباء البيض في الجزائر 1868-1954م- منطقة الشرق أنموذجا، نجدها تتضمن الإطار الزمني والمكاني. فأما الإطار الزمني فهو محدد بالفترة 1868-1954م، وقد اعتمدنا سنة 1868م كونها تمثل بداية نشاط الآباء البيض في الجزائر أي سنة بعد مجيء الكاردينال "لافيغري" للجزائر. وفيما يخص الإطار المكاني فنحن نتحدث عن منطقة الشرق الجزائري، لكن نرى وجوبا الإشارة إلى أن الحدود الجغرافية لمنطقة الشرق الجزائري موضوع هذه الدراسة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمادة المرجعية المعتمد عليها والتي بدورها تحدد وترسم المجال الجغرافي الذي مسه نشاط الآباء البيض.

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الدراسة لبنة وإضافة جديدة في مجال السياسة الاستعمارية في الجزائر ولاسيما الجانب الديني، طبعا هذا ليس من باب الادعاء بالكمال وتمام العمل فالكمال لله وحده وأي عمل لا بد أن يشوبه الخطأ ويعتريه النقصان، وحسبنا في هذا أننا بذلنا ما في وسعنا كي نحقق بعض ما كنا نصبوا إليه ونسعى لأجله.

A decorative rectangular border composed of repeating floral and leaf motifs, framing the central text.

الفصل الأول

تمهيد:

عرف العالم الإسلامي الكثير من الحملات الصليبية على مر السنين، مشرقا ومغربا ومن بين المناطق التي لم تسلم من هذي الحملات الشمال الإفريقي ونخص القول بالجزائر التي شهدت الكثير من الحملات الأوروبية الصليبية القادمة من أوروبا سواء من فرنسا أو إنجلترا أو إسبانيا وغيرها ...

ومن بين هذه الحملات هي الحملة الفرنسية في عام 1830م والمعروف عنها أنها حملة عسكرية تهاديبية، إلا أنها في الحقيقة ذات طابع صليبي الذي مثله أعمال الفرنسيين بعد احتلال الجزائر وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل.

1. السياسة الدينية الفرنسية تجاه الجزائر:

لقد لعب الجانب الديني دورا هاما في الاحتلال الفرنسي للجزائر في سنة 1830م⁽¹⁾، حيث حملت فرنسا راية التعصب الديني⁽²⁾ واعتبرت نفسها الحامي الشرعي للكنيسة الكاثوليكية⁽³⁾، فهي تدعو إلى إنقاذ المسيحية والمسيحيين من القراصنة الجزائريين⁽⁴⁾، ولقد اعتبر الفرنسيون أن بنجاح الحملة واحتلال الجزائر فهو انتصار للمسيحية على الإسلام⁽⁵⁾ وخدمة كبيرة قدمتها للعالم المسيحي⁽⁶⁾ وشعوب البحر الأبيض المتوسط⁽⁷⁾.

(1) - خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، الجزائر، دحلب، 2009م، ص 13.

(2) - أحمد مسعودي: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها "1792-1830م"، ط خ، دار الخليل العلمية، 2013م، ص 83.

(3) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830م 1871م، كنوز الحكمة، (د.ب)، 2011م، ص 12.

(4) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 15.

(5) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 12.

(6) - أحمد مسعودي: مرجع سابق، ص 83.

(7) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 15.

كما نلمس الجانب الديني أيضا في الحملة العسكرية من خلال الدور الذي لعبه رجال الدين الذين اعتبروا الحملة العسكرية هي حملة صليبية⁽¹⁾، بحيث كان للأسقف الكبير ووزير الشؤون الدينية " فريسوس " دورا كبيرا في دفع "شارل العاشر " للغزو وكانت روما وراء هذا القسم⁽²⁾ ولا يمكن نسيان دور الوزراء في ذلك⁽³⁾ فقد قدم وزير الحربية "الماركيز كليرمون ورنير " في تقريره⁽⁴⁾ للملك "شارل" يوم 14 أكتوبر 1827م⁽⁵⁾ حول مشروعه وآماله التصيرية التصيرية الجزائريين وهذا في قوله : «...ولما لا، مع مرور الوقت ، تكون لنا السعادة ، مع تحضير الأهالي وتحويلهم إلى مسحيين » ، ويرى أيضا أنه سيؤدي "الملك شارل "نداء العناية الإلهية⁽⁶⁾ الذي يرى في نفسه محقا في الدفاع عن الدين المسيحي⁽⁷⁾، وقد أكد ذلك ذلك في خطابه الذي ألقاه على أساقفة المملكة قائلا : « إن مرادنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر»⁽⁸⁾ ويرى الفرنسيون أن أحد أسباب الحملة هو اسقاط الحاجز بين الإسلام والمسيحية⁽⁹⁾ وان انتصار الملك هو انتصار لإعادة بعث المسيحية في افريقيا⁽¹⁰⁾ فقد اعتبر رجال الدين أن الإسلام أفقد الجزائر روحها بعد أن أزاح المسيحية ويسعون إلى إعادة أيام "ترتوليانوس" والقديس"

-
- (1) - بوعزة بوضرساوية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830م-1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، ط2، الجزائر، دار الحكمة للتوزيع والنشر، 2012م، ص144.
 - (2) - أحمد مسعودي: المرجع السابق، ص85.
 - (3) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 15.
 - (4) - عمار حمداني: حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، الجزائر، ثالة الابيار، (الجزائر)، 2015م، ص 99.
 - (5) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 15.
 - (6) - عمار حمداني: المرجع السابق، ص 99.
 - (7) - أحمد مسعودي: مرجع سابق ، ص 85.
 - (8) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 15.
 - (9) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 12.
 - (10) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 15.

أوغسطينوس⁽¹⁾، ويجب عودة المسيحية لهذه البلاد كونه الدين الاول لها، وتصبح المساجد كنائس وتظهر المسيحية من جديد في الجزائر⁽²⁾.

وفي نظر علماء الآثار فهو عودة المسيحية لأفريقيا الرومانية⁽³⁾ ثانيا على أنقاض القائد الروماني "سبيون"⁽⁴⁾.

لقد ربط "شارل العاشر" سبب الحملة بالحروب الصليبية التي قامت في عهد "لويس التاسع" الذي دفن في قرطاجنة بتونس، ببناء كنيسة على ضريحه تخليدا له كما أراد أن يبرهن لشعب الفرنسي على أنه مهتم بالبعث المسيحي في افريقيا، وبعد الاحتلال أعطى باي تونس "حسين" قطعة أرض للملك لبناء الكنيسة وفقا للمعاهدة التي بينهم وهذا يمكن اعتباره بداية لعهد بعث الكنيسة الإفريقية⁽⁵⁾.

جاء في خطاب الملك حين توديعه للحملة قائلا: « أن العمل الذي ستقوم به الحملة ترضية لشرف فرنسا وسيكون بمساعدة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها »⁽⁶⁾.
فبعد احتلال فرنسا للعاصمة صرح حاكم فرنسا على جملة من أهداف عملية الغزو الفرنسي من بينها العمل على نشر المسيحية والقضاء على الدين الاسلامي⁽⁷⁾.

1. الفرنسيون ومعاهدة 5جويلية 1830م:

جاء في الاتفاقية الموقعة بين "الداي حسين" و"ديرمون" قائد جنرالات الجيش الفرنسي، البند الخامس أن تبقى جميع ممارسات الديانة المحمدية حرة، إضافة إلى التعهد

(1)- بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية 1345هـ - 1359هـ/1925م - 1940م، الجزائر، عالم المعرفة، (د.س)، ص 122.

(2)- محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 12.

(3)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 15.

(4)- محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 13.

(5)- خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 16.

(6)- محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 13.

(7) - صالح بن نبيلي فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية في العهد الفينيقى إلى غاية الاستقلال 814ق.م، 1962م، ج 1، الجزائر، دار إيدكوم للنشر والتوزيع، 2013م، ص 17.

بعدم الاعتداء على الممتلكات الدينية وعلى السكان⁽¹⁾، لكن بعد دخول الفرنسيين مدينة الجزائر أقام "دبرمون" صلاة بالقصبة شارك فيها كل الجيش ورجال الدين⁽²⁾ ووجه لهم بيانا قائلاً: « لقد جئتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية إفريقيا، وأنا لكبيروا الأمل، أن تعم ديانتنا هذه لربوع قريبا لتعمل من جديد على ازدهار المدينة التي انطفت منذ قرون... »⁽³⁾ وقد اصطحب معه في حملته 16 قسا⁽⁴⁾.

ويروي أحد الفرنسيين أن الإحتفال الذي أقيم في القصبة التي بناها أبناء "محمد" عليه الصلاة والسلام لمواجهة أبناء "عيسى" عليه السلام، كما تمت تلاوة آيات من الإنجيل بأصوات عالية واعتبار الجنود الذين ماتوا شهداء المسيحية⁽⁵⁾، وفي نفس الوقت حضر الملك "شارل" قديسا يحمد الله بمناسبة إنتصاره على الأعداء في كنيسة نوتردام دي باري⁽⁶⁾.

بعد أن تعهد القائد العام "ديبرمون" بما جاء في المادة الخامسة من معاهدة 5 جويلية 1830⁽⁷⁾ (الذي ذكرنا ما جاء فيها أولا) بعهد شرف ، لكن هذه المعاهدة بقيت حبرا على ورق⁽⁸⁾، وأخل الفرنسيون بهذا العهد واستولوا على أماكن العبادة وحولوها إلى كنائس وكنائس وكنائس عسكرية، وعلى الزوايا والأوقاف ، كما قاموا بتهريب عظام الموتى المسلمين إلى

(1) - حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تق تع تح: محمد العربي الزبيري، ط 2، الجزائر، دار الحكمة، 2014م، ص 204.

(2) - خديجة بقطاش: المرجع السابق ، ص 17.

(3) - أحمد مسعودي: المرجع السابق، ص 85.

(4) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830م - 1871م، المرجع السابق، السابق، ص 13..

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، مج 1-2، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، ص 79.

(6) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 17.

(7) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 35.

(8) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 17.

مرسيليا واستعملوها في صناعة السكر والأسمدة⁽¹⁾، كما قاموا بتعليق الصليب في ثلاث مآذن في مدينة الجزائر، وحين دخولهم المدينة باثروا في الحفر عن الآثار المسيحية مستدلين في ذلك على الخرافات وكتب الرحالة، وقد راح ضحية هذا العمل الجامع الكبير (الأعظم) الذي كانت تزعم الروايات على أنه مبني على هيكل ديني مسيحي⁽²⁾. إن كل هذه هذه التصرفات الشنيعة مست الشعور الديني لدى السكان و زادوا بعدا عن الفرنسيين، حيث يعترف أحد الفرنسيين بالأعمال التي قام بها الجيش فور دخوله إلى مدينة الجزائر الجنرال " لاموريسير" الذي يعرف عنه بتدينه يقول: « حللنا بمدينة الجزائر فاتخذنا من المدارس مخازن، وثكنات، واصطبلات واستحوذنا على أملاك المساجد والمدارس وكنا نعتقد أننا سنعلم الشعب العربي، مبادئ الثورة الفرنسية ولكن مع الأسف أن المسلمين رأوا في ذلك ضربة عقيدة⁽³⁾»، أما "حمدان خوجة" الذي شاهدة وعاش هذه الأحداث فقال: « إن الحكومة الفرنسية باستعمالها العنف ، تنفر السكان وتثيرهم ضدها كما أنها تتصرف ضد المعاهدات والالتزامات التي كانت قد وقعت عليها⁽⁴⁾.

أما المساجد التي تعرضت للهدم والتحويل نجد جامع كتشاوة (أنظر الملحق رقم 01)، الذي حول إلى مكان للعبادة الكاثوليكية⁽⁵⁾ وسمي بكاتدرائية سيده الجزائر في سنة 1832م، إضافة إلى جامع القشاش، وجامع عبيدي باشا وجامع القصبه الذي حول إلى كنيسة الصليب المقدس⁽⁶⁾، ويقول "حمدان خوجة" في هذا الخصوص: « فحسب شريعتنا فإن

(1) - أحمد مسعودي: المرجع السابق، ص 87.

(2) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، المرجع السابق، ص 80.

(3) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 18.

(4) - حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 281.

(5) - شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار 1827-1871م، ج 1، الجزائر، دار الأمة الأمة لنشر والطباعة، 2013، ص 160.

(6) - سعدي مزيان، أحمد بوقجاني: منطلقات أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، ط.خ، سلسلة المشاريع الوطنية، ص 72.

المساجد ملك للجميع، وهي مخصصة فقط لعبادات المسلمين والقاضي نفسه لا يحق له تغيير هذه الوجهة»⁽¹⁾.

أما في قسنطينة فقد تعرضت مساجدها هي الأخرى إلى الهدم والتخريب⁽²⁾ مثل: مسجد صالح باي، الذي حول إلى كنيسة وجامع رحبة صوف وجامع القصبه الكبير... وغيرها كثير. وبالنسبة لعنابة فتم هدم 37 مسجداً كان أهمها مسجد سيدي مروان⁽³⁾.

بعد شهر من احتلال الجزائر قامت ثورة في فرنسا وأطاحت بعرش "الملك شارل" وتسببت في تغيير الجنرال "دبرمون" بالجنرال "كلوزيل" الذي استمرت في عهده السياسة التعسفية ضد المؤسسات الدينية⁽⁴⁾، وقد برزت نوايا تمسيح الجزائر وكشف "حمدان خوجة" ذلك في البريد الصادر بتاريخ: 20 جوان 1833م، مستعملاً العبارات التالية: « أن الذي لن يفاجأ به الجمهور هو رئيس مجلس الوزراء الحقيقي منذ ثورة جوليت وإلى عهد قريب جداً كان قد كتب إلى المقاصد المدني بالجزائر يوصيه بتمسيح الليلة»⁽⁵⁾.

أصدر "كلوزيل" قراراً بتاريخ: 7 ديسمبر 1830م⁽⁶⁾ والذي نص على ضم كافة الأوقاف الإسلامية من أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا وسبل الخيرات وأوقاف الأندلس والطرق الإنكشارية والمياه⁽⁷⁾، وقد أعتبر هذا القرار من البوادر الأولى لتنصير ومحو التراث التراث العربي الإسلامي بالجزائر هناك كل ما هو مقدس، فقد تم تحويل الكثير من الأوقاف إلى كنائس وتكنات عسكرية وحمامات والبعض تعرض للهدم والتخريب، حيث يذكر "حمدان

(1) - حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 281.

(2) - سعيدي ميزان، أحمد بوقجاني: المرجع السابق، ص 73.

(3) - بوعزة بوضرساوية: سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، المرجع السابق، ص ص 137-138.

(4) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 19.

(5) - حمدان بن عثمان خوجة: مصدر سابق، ص 282.

(6) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 20.

(7) - بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989م، ج 1، دار المعارف، الجزائر، ص 158.

خوجة" على أنه اعترض عند "كلوزيل" على هذه الانتهاكات وخرق الاتفاق، فرد عليه: أن فرنسا ليست مجبرة على احترام الاتفاق لأنه مجرد لعبة حرب.⁽¹⁾

II. نشأة الأسقفية في الجزائر المستعمرة:

بالرغم من السياسة التعسفية الفرنسية ضد المؤسسات الدينية، اعتبر الفرنسيين ذلك غير كافي لخدمة الصليب، فقد اشتكى "دامريمون" لوزير الحرية عن غياب الشعائر الدينية الكاثوليكية في الجزائر⁽²⁾ قائلا: « منذ حوالي ثماني سنوات والعلم الفرنسي يرفرف فوق سواحل إفريقيا، ولم تقم حتى الآن بشيء من شأنه أن يساعد على إنتشار الدين ونفوذه ... إن نظرة سريعة على الوضعية المؤلمة للدين المسيحي في المناطق منكوبة الحظ، لتبرهن على أن ضرورة الاهتمام بتطبيق أسرع». يضاف إلى هذا مجهودات "ماري إميلي" زوجة الملك "لويس فيليب" في هذا الشأن من خلال التماس مساعدة بعض رجال الدولة⁽³⁾، فبعد هذه الندوات فقد تم التعجيل في إنشاء الأسقفية التي ستدعم التصير⁽⁴⁾ وكانت فرنسا تفاوض الفاتيكان على فتح أسقفية لها في الجزائر، وانتهت المفاوضات⁽⁵⁾ بتأسيس الأسقفية في 8 أوت 1838م⁽⁶⁾، تتويجا للفكر المسيحي في قلب الإسلام⁽⁷⁾ وتعيين السيد "دوبوش" أسقفا لها في 1838م⁽⁸⁾، وقد صرح الملك "لويس فيليب" له قائلا: «لا يكون العرب فرنسيين، إلا عندما يصبحون مسحيين ويتوقف هذا علينا نحن الاثنان، فلنعد الحياة إلى أفريقيا المسيحية».

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص ص 19، 24، 25.

(2) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 81.

(3) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 49.

(4) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 81.

(5) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م، ص 108.

(6) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: مرجع سابق، ص 81.

(7) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج 1، ط.خ، الجزائر، دار المعرفة، (د.س)، ص

81.

(8) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، مرجع سابق، ص 108.

بعد تأسيس الأسقفية مباشرة قام المارشال " فالي " على تحويل المسجد الحنفي إلى كنيسة دعما للأسقفية الجديدة، واستمرار السياسة التعسفية ضد المؤسسات الدينية حيث اعتبر المسلمين هذا أمرا خطيرا بالنسبة للإسلام والمسلمين وكان هذا سببا في الهجرة، لكن أمام تخوف وزير الحربية من رد فعل المسلمين تراجع "فالي" في أخذ المسجد الحنفي⁽¹⁾. وقد علق أحدهم قائلا عن تأسيس الأسقفية بقوله: « لقد رأينا الصليب يظهر من جديد، على هذه الأرض الإفريقية، إذ كانت الكنيسة أهملت ترعة عشر قرنا من طرف المنافقين فإنها انبعثت من جديد على أنقاض مقدسة»⁽²⁾.

أما فيما تعلق بالأساقفة الذين حكموا الأسقفية وساهموا في نشر المسيحية وخدمتها في الجزائر أثناء فترة الاحتلال نذكر على سبيل المثال:

أولا/ الأسقف دوبوش (Dupuch):

تم تعيين "المطران دوبوش" كأول أسقف على أسقفية الجزائر في 30 جوان 1838م⁽³⁾، جوان 1838م⁽³⁾، أصله من مدينة بوردو⁽⁴⁾، وعندما تم تعيينه في الجزائر أقام في قصر السيدة عزيزة بقسنطينة⁽⁵⁾ وكان قبله سبعة قساوسة، أربعة منهم في العاصمة واثان في عنابة و واحد في وهران⁽⁶⁾. بقي "دوبوش" على رأس الأسقفية سبعة سنوات أي من (1838-1845م)⁽⁷⁾، جاء إلى الجزائر متحمسا للمسيحية⁽⁸⁾، حيث كان يسعى إلى إعادة

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 50.

(2) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 82.

(3) - محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904م - دراسة تحليلية، الجزائر، منشورات دحلب، 2009م، ص 33.

(4) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص 108.

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 401.

(6) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، مرجع سابق، ص 108.

(7) - محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق، ص 33.

(8) - خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 50.

أيام الكنيسة الإفريقية أو المسيحية⁽¹⁾. وقد عبر عن ذلك في قوله: « يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي...وينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين بالخدمات الخيرية»، حيث كان يحظى بدعم من الملك "لويس فيليب" خلال عملياته التصيرية، كان يدفع 20 ف لكل من يأتي لسماع التلاوة في الكنيسة و 50 ف لمن يقبل التعميد، كما خصص يومي الإثنين والخميس لتوزيع الخبز أمام الأسقفية، وسعى في جمع الأطفال المشردين، يعتبر القسيس "سوشي" الذراع الأيمن له⁽²⁾.

كان "دوبوش" يتعاون مع الحكام العسكريين أمثال "لافي" و "بوجو" الذي أعاد في عهده بقايا القديس "أوغسطين" إلى عنابة في سنة 1842م⁽³⁾، و فاوض الأمير "عبد القادر" على الأسرى الفرنسيين⁽⁴⁾، عمل "دوبوش" على إنشاء كاتدرائية الجزائر في جامع كتشاوة وسماها كنيسة "سان فيليب"، كما تم تحويل عدة مساجد إلى كنائس ومؤسسات دينية مسحية مثل: جامع بتشين في العاصمة، وجامع سوق الغزل في قسنطينة وجامع بني عامر في وهران الذي أطلق عليه "سان أندري"، إضافة إلى إقامة كنائس في المناطق التي توسع فيها الاستعمار كالبلدية، تلمسان، بجاية⁽⁵⁾ وأعطائها للجمعيات التي وفدت في عهده كجمعية الجوزيت (الآباء اليسوعيين)، وأخوات العقيدة المسيحية⁽⁶⁾.

عرف "دوبوش" بطغيان الجانب المادي على تصرفاته⁽⁷⁾، حيث كان يقترض المال بسبب مشاريعه الكثيرة، وفي سنة 1846م وجد نفسه عاجزا ومطاردا من طرف أصحاب

(1) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 401.

(2) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 51.

(3) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 401.

(4) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص33.

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 401.

(6) - محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق، ص 35.

(7) - محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 81.

الديون⁽¹⁾، فتم وضعه في السجن، غير أنه استطاع الفرار إلى إيطاليا ومن ثم إسبانيا⁽²⁾، وظلت الفضائح تطارده طيلة حياته، توفي هذا الأخير سنة 1864م وتم دفنه في كنيسة " سان فليب"⁽³⁾.

لعل أهم إنجازاته في الجزائر طيلة سبع سنوات هي بنائه 60 كنيسة ومعبد و16 مؤسسة دينية، كما أنه استطاع تكوين 91 قسيس و 140 إطارا من النساء والرجال في الشؤون الدينية، إضافة إلى بناء ملجأ سطاوالي⁽⁴⁾.

ثانيا/ الأسقف لويس أنطوان أوغسطين بافي:

تم تعيينه كخليفة الأسقف "دوبوش" بموجب مرسوم ملكي مؤرخ في 26 فيفري 1846م⁽⁵⁾، كان عميد الكلية الكاثوليكية قبل تعيينه في الجزائر⁽⁶⁾، وحل بالجزائر في 10 جويلية 1846م إلى غاية 16 نوفمبر 1866م⁽⁷⁾، كان دبلوماسيا وأقام علاقات مع القادة العسكريين⁽⁸⁾، كما رافق توليه رئاسة الأسقفية القضاء على مقاومة الأمير "عبد القادر"⁽⁹⁾. بدأ نشاطه التبشيري بتخصيص يوم الاثنين من كل أسبوع لتوزيع المساعدات على المعوزين من المسلمين⁽¹⁰⁾، واختاروا المناطق النائية والبعيدة عن المدن لبداية نشاطه التصيري،

(1)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 402.

(2)- محمد عيساوي، نبيل شويخي: المرجع السابق، ص 81.

(3)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص ص 401-402.

(4)- طویل حياة: "التصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962م"، مجلة القرطاس، ع5، جامعة مصطفى مصطفى اسطنبولي، معسكر، جوان 2017م، ص 317.

(5)- سعدي مزيان: النشاط التصيري للكرندال لافيغري في الجزائر 1871-1892م، ط 1، الجزائر، 2009م، ص 15.

(6)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 403.

(7)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 34.

(8)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 60.

(9)- سعدي مزيان: مرجع سابق، ص 15.

(10)- خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 60.

وكانت منطقة زواوة هي نقطة البداية⁽¹⁾، كان يضرب في الإسلام، والقرآن الكريم بسبب حقه الصليبي وتعصبه، إضافة إلى تعلمه اللغة العربية حتى يتقرب من المسلمين⁽²⁾، خلال نشاطه استفادة من المصادر المالية التي خصصتها الإدارة الفرنسية لإدارة الأسقفية. لعل أهم أعماله في الجزائر الذي عرفت في عهده تطور المؤسسات الدينية، خاصة بعد إنشائه للمدرسة الإكلركية الكبرى بمنطقة القبة، والمدرسة الاكلركية الصغرى بسانت لوجين التي تكون الكهنة والقساوسة وكان مقرها المكان القديم للقنصلية الفرنسية قبل الاحتلال⁽³⁾، وتم فتح حصن كروز بوهران وسماه سيده الإخلاص في عام 1850م⁽⁴⁾. أما في عام 1854م وضع حجر الأساس لكنيسة السيدة الأفريقية بالعاصمة⁽⁵⁾، والتي تم بنائها بأعلى نقطة ببوزريعة⁽⁶⁾ وأحضر مجموعة من المعلمين، أخوات المدارس المسيحية وعدد من الجوزيت اليسوعيين، لخدمة التعليم الديني وتم فتح بعض من المدارس و الملاجئ في زواوة تحت إسم الأعمال الخيرية⁽⁷⁾، كما تم إقامة ملاجئ في القبة ومشرفين⁽⁸⁾، وقد تم إنشاء أسقفية في كل من وهران وقسنطينة⁽⁹⁾، كما جعل أسقفية الجزائر في نفس مستوى أسقفية الجزائر⁽¹⁰⁾، أما نشاط الجمعيات الدينية تحت إشراف "الافي"، وتم تنسيق عمله التبشيري مع نشاطها إضافة إلى تنظيمه للاكروس وأمره بتعليم العربية في المدرستين الاكلركيتين الصغرى والكبرى⁽¹¹⁾.

(1) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 403.

(2) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 61.

(3) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 15.

(4) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص 116.

(5) - طويل حياة: المرجع السابق، ص 318.

(6) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 403.

(7) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 116.

(8) - ابو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 403.

(9) - طويل حياة: مرجع سابق، ص 318.

(10) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، مرجع سابق، ص 116.

(11) - سعدي مزيان: مرجع سابق، ص 16.

توفي "باقي" في 1866م، وتم دفنه في كنيسة السيدة الأفريقية بالعاصمة⁽¹⁾، مخلفا جملة من المعالم الدينية المسيحية⁽²⁾.

ثالثا/ الكاردينال لافيغري:

ولد "لافيغري" (أنظر الملحق 02) في مدينة بليون بفرنسا في عام 1825م وكان ينشط كثيرا في المجال الكنيسي، دخل حياة الشرق عن طريق مدارس الشرق، حيث عمل في بلاد الشام، وتعلم العربية والعادات والتقاليد هناك، إضافة إلى توليه بنانسي بفرنسا وظائف دينية، ومن هناك جاء إلى الجزائر⁽³⁾ وهذا من اقتراح الجنرال الحاكم العام في الجزائر "مكمهون"⁽⁴⁾، وتم تعيين المطران "لافيغري" خلفا "لباقي" على الأسقفية في سنة 1867م، وفي عهده بلغ التبشير ذروته بالجزائر، حيث لقب بـ: أبو التبشير في الجزائر وأفريقيا⁽⁵⁾. وهذا يعود إلى النشاط الفعال الذي أبداه في نشر المسيحية وتعصبه الدين خدمة للمشروع التصيري الفرنسي في الجزائر المستعمرة⁽⁶⁾.

صادف وصوله إلى الجزائر المجاعة المشهورة التي حلت بها، أما عن ال أسقفية في الجزائر فقد وجد بها 83 فرعا وفيها 104 من الدعاة للتصير وضعوا تحت تصرفه⁽⁷⁾. لقد جاء "لافيغري" إلى الجزائر وكله قناعة بأن الجزائر المستعمرة هي بمثابة بوابة يلج من خلالها الاستعمار والتبشير في إفريقيا، وبالتالي اعتبر هذا الأخير مسألة التصير وسيلة هامة في لإدماج الجزائر المستعمرة في فرنسا⁽⁸⁾.

(1) -أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 403.

(2) -سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 16.

(3) -أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، مرجع سابق، ص 404.

(4) -خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 106.

(5) -سعدي مزيان: مرجع سابق، ص 16.

(6) -خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص ص 106-107.

(7) -ابو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، 119.

(8) -خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 107.

حضي "لافيجري" بدعم واسع من الحكومة الاستعمارية التي كانت ترى أعماله خدمة لمصالحها⁽¹⁾، وكانت تسانده البابوية والجمعيات الخيرية. أنشأ "لافيجري" مؤسسة القديس "أوغسطين" واتخذ منها وسيلة لبعث الدين المسيحي ونشره بين الجزائريين⁽²⁾. من جهة ثانية، أسس جمعية مبشري السيدة الأفريقية أو الآباء البيض، التي كان لها فرع نسائي (جمعية الأخوات البيضاء) وفرع آخر مسلح يدعى جمعية إخوان الصحراء المسلمين⁽³⁾. توفي "لافيجري" في 26 نوفمبر 1892م بقرطاج بتونس وأقيم له في الجزائر حفل تأبين ضخم⁽⁴⁾. إذن هذا باختصار وأكثر تفاصيل حول نشاط هذا الأخير تجدونها في الفصل الثالث.

(1) - طويل حياة: المرجع السابق، ص 319.

(2) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج06، المرجع السابق، ص 121.

(3) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 38.

(4) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900م، ج01، المرجع السابق، ص 410.

A decorative rectangular border composed of repeating floral and leaf motifs, framing the central text.

الفصل الثاني

تمهيد:

يعتبر إقليم الشرق الجزائري من أوسع المقاطعات في الجزائر، أي أن مقاطعة قسنطينة لوحدها تشكل تقريبا نصف إقليم الجزائر⁽¹⁾، لهذا كانت محل اهتمام العديد من الجغرافيين والمؤرخين والرحالة والدبلوماسيين الأجانب نظرا لما تحتويه هذه البقعة الجغرافية الشاسعة من ثروات طبيعية وطاقات بشرية هائلة من جهة، ومن جهة ثانية يتميز الشرق الجزائري بحدوده المفتوحة على كل الجهات، كما أنه يتوفر على العديد من الموانئ الطبيعية والصالحة للملاحة والمنفتحة على السواحل الأوروبية للحوض الغربي المتوسط⁽²⁾. إضافة إلى هذا يمتلك الشرق الجزائري ماضي حضاري عريق، الأمر الذي جعل منه محل اهتمام مادي وتاريخي من طرف السلطات الاستعمارية. كل هذا وذاك هو موضوع دراستنا في هذا الفصل.

1. الخصوصية الجغرافية:

1. الإطار الجغرافي:

يتربع إقليم الشرق الجزائري على رقعة جغرافية واسعة تقدر بـ: 230 ميل طولا و100 ميل عرضا، وهناك من يحددها بـ 100 مرحلة من الشرق إلى الغرب. أما نهاية الشرق الجزائري بالتحديد عند الغرب بواد بوبراك ويحدد موقعه إقليم ونوغة وبرج حمزة، واعماق جرجرة، ويحد إقليم الشرق غربا وادي الصمار الذي يعرف بولد بني منصور وبني عباس الذي يصب بالقرب من بجاية، ومن الجنوب الغربي تدخل الحضنة شكليا ضمن ب قسنطينة، وحدود إقليم الشرق الجزائري من الجهة الجنوبية تمتد إلى وراء بسكرة وواد سوف، وتقرت وورقلة في حوض وادي ريغ وإيغرغر. وأما الحدود الجنوبية فهي غير واضحة مثلها

(1) - أحمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الجزائرية ويليها جغرافية القطر الجزائري، طخ، مج9، الجزائر، 2010م، ص 136.

(2) - فلة القشاعي: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني(1771-1837م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1889-1990م، ص 2.

مثل الحدود الشرقية.⁽¹⁾ أما حدوده الشمالية فيحده البحر الأبيض المتوسط، هذا باتفاق المؤرخين الجغرافيين⁽²⁾. ومن هنا تظهر لنا أهمية إقليم الشرق الجزائري لما تمثله من شساعة المساحة.

2. التضاريس: تحتوي هذه الرقعة الجغرافية الواسعة على مظاهر تضاريسية متنوعة، تتمثل في جبال جرجرة⁽³⁾، جبال البيبان، جبال الحضنة، حوض الصومام، حوض الحضنة، جبال البابور⁴، الشمال القسنطيني، سوق أهراس⁽⁵⁾، عنابة، كتلة جبال الأوراس⁽⁶⁾، النمامشة⁽⁷⁾، الزاب والزيبان⁽⁸⁾، أولاد نايل⁽⁹⁾ وحوض وادي سوف وادي ريغ، وواحات حوض حوض أيغرغر وعلى رأسها ورقلة، تقرت، بسكرة، السهول العليا القسنطينية⁽¹⁰⁾. ومن حيث المظهر التضاريسي للشرق الجزائري فهو نسيج كثير الجبال الواسعة والعمران⁽¹¹⁾ تلتقي

(1) - عز الدين بومزو: الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري-ارنست مرسية نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008/2007م، ص ص 42-43.

(2) - فلة القشاعي: مرجع سابق، ص 44.

(3) - جبال جرجرة: سلسلة من الجبال المترابطة كثيفة ومتواصلة وذات مناخ صحي منعدم النظير بها غابات كثيفة، وهي موطن الأمازيغ الأحرار البربر الأباة بها أعلى قمة تدعى لآلة خديجة وهي أرفع نقطة في التل 2308م. للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدن: أبطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 34.

(4) - جبال البابور: هي سلسلة تكتنف مدينة سطيف، والتي تليها سلسلة (تابابور)، وأقصى ارتفاعا السلسلة الاولى 1970م متر والثانية 1965م مترا. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 32.

(5) - جبال سوق أهراس: والتي تدعى جبال مجردة والتي تقع فيما بين مدينة قالمة والحد التونسي وأقصى ارتفاعها 1405مترا. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 32.

(6) - كتلة جبال الأوراس: قلعة منيعة هائلة تشمل عدة جبال مثل: جبل عيدل، وجبل أحمر خدو، وجبل كلف المحمل، وتتخلل هذه الجبال أودية عميقة. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 60.

(7) - منطقة النمامشة: تقع ما بين جبال تبسة وجبال الأوراس، وتشرف على ناحية الشطوط الجنوبية الكبرى والتي يبلغ ارتفاعها 1656مترا. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 60.

(8) - جبال الزيبان: جبال قليلة الارتفاع ليس بذات خصب ولا عمران بل كأنما هي في وسط الأطلس الصحراوي ثغرة سمحت لصحراء الجنوب بالتسرب نحو الشمال. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 61.

(9) - جبال أولاد نايل: تدعى جبال الصحاري وجبال بوفائل أقصى ارتفاعها 1530مترا تظهر بها علامات الحياة. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 61.

(10) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، أعمال الملتقى الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، (د.ن)، (د.ب)، (د.س)، ص 160.

(11) - أحمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 136.

وسطه جبال الأطلس الشمالية التلية وجبال الأطلس الجنوبية الصحراوية، عند كتلة جبال الأطلس معقدة التضاريس، وليس به من الأحواض والسهول المنبسطة سوى حوض وادي الصومام، وحوض الحضنة، ضف إلى ذلك منبسطات تبسة وحوض وادي سوف (1) في الجنوب وسهول عنابة، سكيذة، بجاية... الخ(2). وفي تقسيم الشرق الجزائري فهو يقسم إلى عدة أقسام تتنوع مظاهرها بدءا من ساحل البحر وانتهاء بالصحراء جنوبا، فالمنطقة الساحلية تتميز بوجود سلاسل جبلية ممتدة على طول البحر، من بوبراك حتى بوجيا وتقريبا حتى بونة، مشكلة من صخور وجبال متدرجة في ارتفاعها، تمتد من الغرب إلى الشرق كجبل البابور 2004متر، الفل 1183متر، القالة 659 متر، تتخلل هذه الجبال سهول ضيقة. أما منطقة الهضاب أو السهول المرتفعة فهي تقع بين السلاسل الجبلية الساحلية والسلاسل الجبلية الجنوبية والتي يطلق عليها إسم جبال الأطلس والتي تتجه من الشرق إلى الغرب وهي الأطلس الصغير الأطلس الكبير، وغالبا ما ترتبط هذه السلسلتان الكبيرتان بسلاسل صغيرة. ونجد أن قسنطينة تشرف على سهول واسعة تمتد إلى جبال أوراس جنوبا(3)، والتي هي موطن فرقة عتيذة من كرام البربر تدعى " الشاوية" وبها أعلى قمة وهي شلية 2329 مترا(4)، إلى سفوح جبال جرجرة في الجنوب الغربي وتسمى منطقة الهضاب(5).

هذه الأخيرة تتكون من إقليمين إقليم شرقي يمتد إلى حدود تونس وغربي حتى جبال البيان ويفصل هذين الأقليمين مدينة قسنطينة مركز ثقل لهذين الأقليمين كما تعرف الناحية

(1)-حوض وادي سوف: تكونت حول هذا الوادي مجموعة من واحات القطر الجزائري اهمها، الواد، القمار كوينين، وهي أكبر مراكز العلم والعروبة بهذا القطر إلى جانب واحات الزيبان الشهيرة. ينظر: أحمد توفيق المدني: مرجع سابق، ص 66.

(2)- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 160.

(3)- عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 45.

(4)- بوضرساية بوعزة: الحاج أحمد باي في الشرق القسنطيني رجل دولة ومقاوم (1848/1830م)، دار الحكمة، الجزائر، 2012م، ص 46.

(5)- عز الدين بومزو: مرجع سابق، ص 46.

الشمالية بالتل⁽¹⁾، والجنوبية بالسباح⁽²⁾. وبالنسبة للمنطقة الشبه الصحراوية أو المنطقة الجنوبية الصحراوية، فهي تتشكل من سلاسل جبلية متصلة تمتد من الغرب إلى الشرق فجبال الحضنة تشرف في جهاتها الجنوبية على الهضاب العليا ثم تليها كتلة جبال الأوراس، أما مرتفعات النمامشة وتبسة فهي ذات ارتفاع متوسط (1200-1400 متر)، حيث تكون مرتفعات النمامشة من الغرب إلى الشرق أما مرتفعات تبسة فهي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

ومنه يمكن أن نستخلص ثلاث مميزات عامة من تضاريس الشرق الجزائري:

- وجود حاجزين أو ثلاثة من الحواجز الجبلية الساحلية تحد من التأثيرات البحرية.
- توزيع السلسلة شبه الصحراوية يسمح بمرور تأثيرات الصحراوية وأن تتقدم إلى الهضاب العليا.

- إتجاه الهضاب العليا وتواجدها بين السلسلتين الشمالية والجنوبية يمنحها طابع قاري يتغير حسب الارتفاع والطبوغرافيا والتضاريس⁽³⁾.

3. المناخ: كان مناخ الجزائر عامة مناخ معتدل فهو ذو طقس بارد طقس البحر الأبيض المتوسط بصفة عامة يتصل بنسيم البحر الأبيض المنعش فيكون خفيفا في الصيف، لطيفا في الشتاء مع رطوبة⁽⁴⁾، ويتمتع بجو صحي ومناخ معتدل مريح وليس بشديد الحرارة صيفا ولا بقارص البرد في شتاء⁽⁵⁾، وهذا الاعتدال يظهر في القسم الشرقي، الذي كان محل اهتمام الرحالة والمؤرخين فذكر "دي فونتين"، أنه مناخ جميل جدا يكون

(1) - التل: بفتح التاء كلمة عربية عتيقة جمعها تلال وتلول وتطلق على كل مرتفع عن الأرض، فالتل الجزائري هو سلسلة الاطلس التي تشرف على البحر من وراء الساحل الجزائري وتتحد أحيانا حتى من مياه البحر الابيض المتوسط. ينظر: أحمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الجزائرية وبلية جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 34.

(2) - فلة القشاعي: المرجع السابق، ص 05.

(3) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 46.

(4) - أحمد توفيق المدني: أبطال المقاومة الجزائرية وبلية جغرافية القطر الجزائري، مرجع سابق، ص 48.

(5) - وليام شالر: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع وتق: اسماعيل العربي، الجزائر، (ش.و.ن.ت)، (ش.و.ن.ت)، 1982م، ص 28.

الجليد فيه نادرا في ذروة الشتاء، أما في ما يخص الأمطار فتبدا بالسقوط في نهاية شهر اكتوبر وتستمر في السقوط من حين لآخر حتى الأيام الأولى من ماي⁽¹⁾، أما اذا توجهنا بعيدا في الداخل أي على مسافة 100 إلى 120 مرحلة إلى الجنوب من الساحل تزداد درجة الحرارة وتقل الأمطار⁽²⁾.

أما في مذكرات "وليام شالر" قنصل أمريكا في الجزائر 1816 1824م فذكر أن موسم الأمطار يمتد من نوفمبر حتى أبريل ويحدث أن تكون الأمطار غزيرة في شهر نوفمبر وديسمبر وفي جانفي وفيفري، ويكون الطقس جميلا في معظم الوقت، وأما كميات الأمطار التي تنزل سنويا فتتراوح بين 42 و28 بوصة⁽³⁾.

وتتميز سواحل الشرق الجزائري بالاعتدال، ولا ينطبق هذا الاعتدال على قسنطينة الذي يتميز مناخها بالقسوة ويصل إلى درجة التجمد في الشتاء⁽⁴⁾، فالأمطار في هذه المنطقة تصل إلى 589 ملم سنويا⁽⁵⁾.

ويرجع هذا التباين بطبيعة الحال إلى تأثير التضاريس على المناخ من قبل، فاعتدال مناخ المنطقة الساحلية وضيق الفوارق الفصلية ناتج عن تأثير البحر الذي يحد من عملية الجليد، أما المنطقة فتمتاز بقلة الأمطار وعدم انتظامها 800ملم، في الجهات الشمالية وأقل من 400ملم من الجهات الغربية والجنوبية الشرقية، فاذا كان الجليد عامل مضر خاصة بالفلاحة في فصل الشتاء، كذلك هناك الرياح القادمة من الصحراء الكبرى أو ما يسمى بالسيروكو والذي يكون في فصل الصيف⁽⁶⁾.

(1) - حورية طعبه: السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م، اطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، جامعة احمد درارية، ادرار، 2020/2019م، ص14

(2) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص47.

(3) - وليام شالر: المصدر السابق، ص29.

(4) - عز الدين بومزو: مرجع سابق، ص47.

(5) - أحمد توفيق المدني: ابطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص50.

(6) - فلة القشاعي: المرجع السابق، ص ص 5 - 8.

II. الخصوصية السكانية:

1. الفئات الاجتماعية:

صنف الأوروبيون سكان الجزائر في العهد العثماني بناء على عنصر العرق، أما خلال فترة الاحتلال قام الفرنسيون بتقسيم سكان إقليم قسنطينة إلى أربعة أعراق، القبائل، العرب، الأتراك، اليهود ولكن "دي لمان" قسم سكان الجزائر إلى القبائل، العرب، الأتراك الكراغلة، اليهود وهو نفس التقسيم الذي اتبعه التميمي⁽¹⁾.

ويتشكل المجتمع الريفي بالشرق الجزائري من عناصر عربية وأمازيغية تلاحمت وتفاعلت واندمجت فيما بينها بفضل وحدة اللغة والعقيدة،⁽²⁾ وتتألف التركيبة البشرية لهذه العناصر الريفية من المجموعات التالية:

أ- الأسرة: وتتألف من الوالدين والأبناء ويلعب الوالد ومن يحل محله عند فقدانه دور الرئيس والموجه والمسير والممون والمخطط في كل شيء اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ويعطيه كل أفراد الأسرة طاعة عمياء في كل الشؤون، والقضايا العامة والخاصة مما يكسب الأسرة تماسكا وانضباطا واحترما لدى الغير⁽³⁾. ولقد كتنت الأسرة الجزائرية تقوم على رابطة العصبية، أي رابطة الدم والتي تكون الوحدة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية، وهذا الأمر يمكن أن نسميه الأرستقراطية الأسرية، حيث اتخذت هذه الأرستقراطية من جاه الحروب وسيلة للحصول على امتيازات، وغالبا ما تتطور هذه العصبية لتصل إلى مرحلة تمثلت في قيام نظام حكم (الملك) مثلما هو الشأن في المشرق أو المغرب، "الأسرة السعدية" أو في تونس "الحفصية" وفي الجزائر "الزيانية" إلا أن

(1) - ارزقي شاويتم: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي، (د.ب)، 2010م، ص79.

(2) - حورية طعبه: المرجع السابق، ص16.

(3) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص161.

العصبية في الجزائر لم تتطور ولم تصل إلى مرحلة قيام الحكم⁽¹⁾. وكانت صفة التعاون بين الأفراد سواء ذكورا أو اناث داخل الأسرة هي السائدة فالفرد هو في خدمة المجتمع⁽²⁾.

ب- القبيلة: تسمية القبائل مشتقة من الكلمة العربية قبيلة، وهذه التسمية تنطبق على وضع القبائل السياسي وهم جميعا في الجبال وتحمل أسماء عربية مثل: بني سنوسا، بني زروال.... وكلمة (بني) في العربية تعني ينحدرون من أصل كذا... وكانوا يسمون البربر وهم شعب أبيض ذوي قامة معتدلة عضلات قوية بعيدون عن السمنة يشبهون الفلاحين من سكان شمال أوروبا أكثر مما يشبهون بقية سكان إفريقيا⁽³⁾.

والقبيلة تأتي بعد الأسرة كمجموعة أوسع وتتألف من مجموعة أسر متعددة والتي تتحدر كلها من جد وأصل واحد، ويختلف حجمها حسب اختلاف عدد الأسر وكذلك التفرعات التي تنشأ عنها، فأحيانا تكون صغيرة وأحيانا تكون كبيرة ذات فروع كثيرة وهي تحتل رقعة جغرافية أوسع، ولكن عاداتها وتقاليدها وأعرافها الاجتماعية واحدة ونجد أن لرئيس القبيلة سلطة كبيرة وواسعة على مجموع أسرها وفروعها وهو الذي يمثلها لدى القبائل الأخرى ويدافع عن مصالحها⁽⁴⁾.

ولقد ذكر الدكتور "شاو" قبيلة من القبائل التي تسكن جبال الأوراس التي تمتد في جنوب قسنطينة أين تقع لمبيز القديمة، وكانت بشرة سكان هذه المنطقة كما ذكرنا سابقا وبعد قيام الدكتور "بروس" بزيارة لهذه المنطقة أكد كل ما ذكره "شاو" عن المنطقة وسكانها⁽⁵⁾.

(1) - احميدة عميراوي: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، ط2، دار الهدى، عين مليلة، 2005م، ص19.

(2) - المرجع نفسه، ص20.

(3) - وليام شالر: المصدر السابق، ص113.

(4) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص161-

(5) - وليام شالر: مصدر سابق، ص114.

ج-العشيرة: تأتي بعد القبيلة في الكبر والحجم وتتألف من مجموعة قبائل متعددة تتحدر كلها من أصل واحد بعيد، ولكنها بمرور الزمن وطوله وتباعده يصبح لكل منها شخصيتها وحدها الأدنى الخاص بها، وفي بعض الأحيان تصبح لها أعراف وتقاليد خاصة بها وتميزها عن غيرها وفي العادة تحتل العشيرة منطقة جغرافية أوسع من القبيلة وتتضمن عدة قرى ومداشر وربما دواوير بحالها متجاورة⁽¹⁾.

د-العرش: ويتألف من مجموعة قبائل وعشائر مختلفة الأصل والمكانة والأعراف والتقاليد الاجتماعية والاقتصادية، ولكل منها زعيمها وكبيرها يمثلها في مجلس العرش ويدافع عن مصالحها ويختلف اسمه حسب الجهات فأحيانا يسمى الأمين، الكبير، الوكيل، الرئيس، ويتكون العرش من قبائل ذات أصل واحد ويتزعمها شخص أو مجموعة أشخاص يختارون على أساس كبر السن، والتجربة والثقافة والشرف والشجاعة والغنى... الخ. ومن مجموعة الأعراش تتشكل القرى المداشر، الدواوير، البلديات، الدوائر، الولايات... الخ⁽²⁾.

ومن المظاهر العامة المميزة لشرق الجزائري هو تجمع العناصر البربرية الأمازيغية في المناطق الجبلية الوعرة بجمال جرجرة، البابور، النمامشة، الأوراس، أولاد نايل وحوض وادي الصومام، واحتفاظها بلهجاتها المحلية الأمازيغية القبائلية في جبال جرجرة وحوض الصومام والبيبان⁽³⁾، والشاوية في جبال الأوراس والنمامشة وهم من كبار البربر أخذوا عن العرب لغتهم واصبحوا من أمتن المسلمين ايماننا⁽⁴⁾.

2. تعداد السكان:

(1) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص161.

(2) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ص161-162.

(3) - المرجع نفسه، ص ص162-163.

(4) - أحمد توفيق المدني: ابطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص61.

ذكر "وليام شالر" في مذكراته ان عدد السكان الكري بلغ مليون نسمة⁽¹⁾، وذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين والجغرافيين لاعتبار أن الشرق الجزائري من أكثر الأقاليم سكانا، ولم تكن هناك إحصائيات دقيقة لعدد السكان⁽²⁾، فحسب "شالر" أن عدد سكان قسنطينة لوحدهم بلغوا 25 ألف نسمة⁽³⁾، أما وفق "أحمد توفيق المدني" فذكر أن عدد سكان قسنطينة بلغ 114338 منهم 77089 نسمة من المسلمين و37249 نسمة من الأوربيين⁽⁴⁾، مما جعل هذه الإحصائيات عرضة لنقد نظرا لتدبدب هذه الإحصائيات.

فذهب "ديليسي" للقول أن: «عدد سكان الشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني بلغ المليون ونصف مليون نسمة». في حين ذكر "حسونة الدغيس" بقوله: «أن عدد سكان الشرق الجزائري بلغ اربعة ملايين وثمانمائة ألف نسمة». وذكر "ياكونو": «إن عدد سكان الجزائر كلها بلغ عشرة ملايين نسمة». فهذه الإحصائيات مبالغ فيها ومن خلال هذه الأقوال المذكورة توصل "عبد الجليل التميمي" إلى أن تعداد سكان الشرق الجزائري بلغ ستة ملايين وثمانمائة ألف نسمة، وهي أقوال تتوافق مع أول إحصاء قامت به السلطات الفرنسي⁽⁵⁾.

أما عن المستوطنين الأوربيين فان "بول بلانك" يقول في عام 1872م بلغ مجموع السكان 245,117 نسمة بزيادة قدرها حوالي 27,000 نسمة ويمكن أن ينمو سكاننا الأوربيون بثلاث طرق:

أولا/ من خلال تجاوز الولادات على الوفيات وهي أفضل طريقة لنمو لأنها تؤمن المستقبل⁽⁶⁾.

ثانيا/ عن طريق تجنس العناصر الأصلية.

(1) - وليام شالر: المصدر السابق، ص38.

(2) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص49.

(3) - وليام شالر: مصدر سابق، ص36.

(4) - أحمد توفيق المدني: ابطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص137.

(5) - حورية طعبه: المرجع السابق، ص17.

(6) - المرجع نفسه، ص18.

ثالثا/ عن طريق الهجرة.

وفي عمالة قسنطينة يوجد 5.993 نسمة منها 2.077 من الفرنسيين و3.916 مهاجرين معظمهم من أصل إيطالي⁽¹⁾.

أما "مرسيه" فقد ذكر إحصاء إقليم الشرق الجزائري اعتمادا على المكاتب العربية، حيث بلغ سنة 1851م عدد سكان مقاطعة قسنطينة 1,101,421 نسمة وهو يفوق رقم أو عدد سكان مقاطعة الجزائر 756267 نسمة ووهران 466157. أما آخر إحصاء حسب "مارسييه" فكان سنة 1881م وبلغ عدد سكان الشرق الجزائري آنذاك 1174002 نسمة⁽²⁾.

أما تعداد السكان بعد الاحتلال فقد قوم إحصاء 19 جانفي 1842م عدد السكان استنادا إلى عدد الخيام رقم 780640 نسمة، لعدد سكان الريف و53000 نسمة لسكان الحضر أما عدد الخيام فكان 108730 نسمة أي أكثر من سبع أشخاص في المسكن الواحد⁽³⁾.

III. الخصوصية الاقتصادية:

تعتمد الحياة الاقتصادية بالشرق الجزائري كما في غيره على الفلاحة وتربية الحيوانات بصفة أساسية، وعلى النشاط التجاري والمهن والحرف التقليدية المختلفة⁽⁴⁾، ولقد كان الاقتصاد الجزائري يرتكز على ازدواجية النشاط والتي تمثلت في ممارسة زراعة الحبوب وحرفة الرعي في إطار التنظيم القبلي المبني على الملكية الجماعية للأراضي⁽⁵⁾.

1. طبيعية الأرض:

وهي ثلاثة: أراضي البايك، أراضي العرش، أراضي الملك وأراضي الوقف.

(1) - حورية طعبه: المرجع السابق، ص18.

(2) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص ص 49-50.

(3) - المرجع نفسه، ص50.

(4) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص164.

(5) - بن داها عدة: الإستييطان والصراع حول ملكية الأرض ابان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج 2، ط1، ط1، دار الكوثر قسنطينة، الجزائر، 2015م، ص21.

أولا/ أراضي البايلك: تشمل هذه الأراضي ممتلكات البايلك وتنقسم إلى نوعين، الأول يتمثل في الأراضي الخاصة للباي وعائلته، وتكون أراضي خصبة ومسقية جيدا وصالحة للزراعة بكل أنواعها وتتم زراعتها عن طريق التويزة التي تفرض على القبائل المجاورة أو عن طريق الخماسين⁽¹⁾. أما النوع الثاني فهو الأراضي التابعة للدولة أو العزل، وتنتشر حول مدينة قسنطينة في شكل حزام وتضم كذلك أخصب الأراضي⁽²⁾. وعلى إثر الاحتلال الفرنسي في عام 1830م وبحكم أصول الشريعة الإسلامية حازت الإدارة الفرنسية باسم البايلك أملاكاً معتبرة ذات مساحة كبيرة وفي الأصل هي لا تنتمي إلى أراضي البايلك⁽³⁾.

ثانيا/ أراضي العرش: هي ملكيات تقليدية تتلاءم ونمط المعيشة القبلي والروابط الاجتماعية السائدة في الأرياف والتي كانت تعتمد على القبيلة وليس على خصوصية الأسر والأفراد⁽⁴⁾، وتعتبر أراضي بور والتي تقوم القبيلة باستغلالها بنحو مشاع بين أفرادها وكان كل فرد في هذه القبيلة يقوم باستصلاح أو زراعة قطعة من هذه الأرض ويصبح له الحق الخاص عليها وهذا الحق ينتقل مباشرة إلى ورثته من الذكور فقط⁽⁵⁾.

ثالثا/ أراضي الملك: تعنى كلمة ملك حرية التصرف المطلق في الأرض،⁽⁶⁾ وهي تلك الأراضي التي كانت توجد في التل والمناطق الجبلية بالقبائل، وهي عبارة عن ملكيات خاصة للأفراد تتواجد في الأوراس والقبائل الصغرى ووحدات الصحراء وقرب المدن وتكون في المناطق البعيدة عن المدن، نظرا لعدم تمكن الأتراك العثمانيين من السيطرة عليها

(1)- عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 61.

(2)- فلة القشاعي: المرجع السابق، ص 97.

(3)- حورية طعبه: المرجع السابق، ص 52.

(4)- فلة القشاعي: مرجع سابق، ص 140.

(5)- حورية طعبه: مرجع سابق، ص 51.

(6)- عز الدين بومزو: مرجع سابق، ص 63.

وقدرها "وارني" بحوالي أربعة ملايين ونصف مليون هكتار⁽¹⁾، وتميزت بضيق المساحة وحرية صاحبها في البيع والهبة لأنه تحصل عليها أما عن طريق الوراثة أو الثراء⁽²⁾.

رابعاً/ أراضي الوقف: ويطلق عليها تسمية أراضي الحبوس كذلك، وهي أراضي موقوفة لفائدة المؤسسات الخيرية مكة المكرمة والمدينة المنورة، المساجد والمدارس الأضرحة والزوايا⁽³⁾، وقد أوقفها المحسنون وبعض من أصحاب الثروة حتى لا يستولى عليها وقد تولى الأشرف على الأوراق التابعة لقسنطينة ونواحيها بعض أفراد العائلات ذات المكانة الدينية مثل عائلة "بن لفقون"⁽⁴⁾، والحبوس نظام آخر مميز للتشريع العقاري يتضمن في ما بين الأحياء ويتميز بالخير⁽⁵⁾.

2. الزراعة والصناعة:

تميزت أراضي اقليم الشرق الجزائري بالخصوبة مما أدى إلى وفرة الإنتاج الفلاحي فقد ذكر "فونتين" أغنى مناطق المملكة هي نواحي قسنطينة بونة...الخ. كما قام بتحديد المناطق التي تعطي المحاصيل الوفيرة وتتمثل في بلاد قسنطينة من جهة الغرب الشمال الغربي والجنوب الغربي، واتفق "دي بارادي" مع "دي فونتين" حيث ذكر أن: «أحسن الحبوب والسنبلة التي تحمل أكبر عدد من الحب هو الذي في مقاطعة قسنطينة». وأشار كذلك "دي لمان" أن لسهل عنابة والذي أسماه بالسهل الشاسع ذو أربعين ميل طولاً و25 ميل عرضاً، أنه شديد الخصوبة لإنتاج كل أنواع الحبوب⁽⁶⁾. ومن الحبوب التي كانت تنتج في الشرق الجزائري القمح والشعير الخرطال والذرة. وكانت تمارس في أراضي العرش والقبائل الجماعية بالمحراث الخشبي وعضلات الحيوانات والبغال...الخ، في المناطق المنبسطة وشبه المنبسطة وفي المناطق الجبلية الوعرة تعتمد على الفأس وعضلات الإنسان

(1) - حورية طعبه: المرجع السابق، ص51.

(2) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 63.

(3) - فلة القشاعي: المرجع السابق، ص 107.

(4) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص ص 64-65.

(5) - حورية طعبه: مرجع سابق، ص ص 51-52.

(6) - عز الدين بومزو: مرجع سابق، ص65.

وتشغل المدرة والمنجل اليدوي في الحصاد والحيوانات للدرس والتصفية⁽¹⁾. كما كانت زراعات أخرى كالقطن بنواحي الحضنة وسطيف والتبغ في منطقة الأوراس، الهضاب العليا وواد سوف وعنابة. كذلك التوابل كالزعفران، الكمون، الكروية بمنطقة الأوراس وقصب السكر بنواحي قسنطينة⁽²⁾. بينما في المناطق الجبلية انتشرت زراعة أشجار التين، الزيتون، اللوز، البرتقال، الليمون، العنب، التفاح وكان الفلاحين يعتمدون عليها في معاشاتهم ويتبادلون فائض مما ينتجون بما يحتاجون كالحبوب⁽³⁾، ومن الأشجار كذلك التي كانت تغرس وقتها كالكروم، الرمان، الخوخ، الأجاص، الكمثري، المشمش، الزعرور، حب الملوك، التين الشاوكي (الهندي)، البلوط... الخ، وتمارس غراستها في أحواض الأودية والمناطق الجبلية الممطرة، ومن هذه الأشجار المثمرة اشتهرت منطقة الأوراس بزراعة المشمش واللوز⁽⁴⁾.

من جهة أخرى لم تسلم المنطقة من الآفات الطبيعية المتمثلة في الجفاف وكثرة الفيضانات واجتياح الجراد وهبوب العواصف بفعل الرياح السيروكو، الذي يتسبب في بعض الأحيان إلى حدوث المجاعات وانتشار الأمراض والأوبئة وهلاك المزارعين⁽⁵⁾. أما فيما يتعلق بتربية الحيوانات، يعتمد سكان الشرق الجزائري على تربية كل الأنواع المختلفة من الحيوانات وأهمها الضأن، الماعز، الأبقار، الخيول، الأحصنة، البغال، الجمال، الحمير... الخ، حيث ينتفع في بعضها على اللحوم والشحوم والأصواف والجلود والشعر

(1) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص164.

(2) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص 67.

(3) - فلة القشاعي: المرجع السابق، ص11.

(4) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 166.

(5) - فلة القشاعي: مرجع سابق، ص 13.

والسمن والحليب والأجبان وغيرها، كما يستغلا البعض الآخر منها كالخيول والبغال والحمير في الركوب والنقل والمواصلات والحرف والدرس⁽¹⁾.

بالإضافة إلى الثروة الحيوانية، تزخر منطقة الشرق الجزائري بثروة معدنية معتبرة منها الحديد، وكذلك الرصاص ومعدن حمض الكبريت والرخام والفحم، إذ يوجد الحديد في سلسلة الجبال التي تمتد من طبرقة إلى بونة، حيث تحتوي منطقة القالة على مناجم الحديد، النحاس، الرصاص الفضي. أما حمض الكبريت فإنه يوجد في المنابع الساخنة لحمام المسخوطين بين قسنطينة وقالمة، كذلك مادة الرخام التي تتواجد بكثرة في الشرق الجزائري. وعليه فقد شكلت هذه الثروة المادة الأولية التي أدت ظهور صناعات مختلفة بعدما أحسن سكان الشرق ولا سيما مقاطعة قسنطينة في استغلال هذه المعادن واستخدامها⁽²⁾. امتد نطاق الصناعات ليشمل الصناعات الحرفية الأخرى كصناعة الأدوات الخشبية مثل: المعالق والمغارف والقصعات والمجامع والصناديق...الخ. كذلك صناعة الحلي الفضية منها والذهبية، كالأوراس والخلاخل والأقراط والخواتم...الخ. كذلك وصناعة الشموع والصابون وكذلك الرحي والمعاصر... ناهيك عن أدوات نسيج الحلفاء ونسيج الدوم، أدوات القصب، السواول والقداشات وكحول النساء وبعض مواد الزينة السخاب والسواك والحرقوس...الخ⁽³⁾.

3. النشاط التجاري: وهو نوعان داخلي وخارجي:

أولا/ التجارة الداخلية: كانت التجارة الداخلية في الشرق الجزائري تنقسم إلى نوعين وهما تجارة تتم في المدن والثانية تتم في الريف، إلا أن "توشي" ربطها بالمدينة وبقر بصعوبة تواجهها في الريف⁽⁴⁾.

(1)- يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص167.

(2)- عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص ص 70-71

(3)- يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص ص 169-172.

(4)- عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص72.

فالتجارة في الريف تكون بين القرى والمداشر ولها أسواق دورية بعد أيام الأسبوع وتنتعت كذلك بسوق الخميس وسوق الجمعة وسوق السبت وهكذا⁽¹⁾، وفي كل يوم من الأسبوع يعقد سوق أو عدة أسواق في قرى معينة يتجه إليه الناس باكرا من كل الجهات راجلين، أو على الحمير والبغال... الخ، يحملون إليها بضائعهم المختلفة الفلاحية والحيوانية، التي يتم بيعها ويشترون مما هم بحاجة إليه. تكون هذه التجارة نشيطة خلال فصل الربيع والصيف والخريف أما شتاء فتقل بسبب البرد وقلة البضائع والمنتجات⁽²⁾، أما التجارة في المدن فقد كانت تتم في قسنطينة، بونة، القالة، سطيف، تبسة، والتي تميزت بالنشاط، وأكبر هذه الأسواق وأهمها سوق قسنطينة ذلك أن هذه مدينة تعتبر مركز لشبكة من الطرقات تتصل ببونة، سكيكدة، القل، تبسة، بسكرة، مما سمح بتواجد تفاعل تجاري بين هذه المدن من جهة، ومن جهة ثانية بين البدو الرحل وسكان الشمال ولا سيما خلال فصل الربيع⁽³⁾. لقد ازدادت أهمية بعض الأسواق بمرور الوقت، حيث تحولت إلى أسواق سنوية تقصدها القبائل ويقصدها سكان المدن كسوق لحراكتة بالنامشة⁽⁴⁾، و كذلك سوق التلاغمة وأولاد عبد النور، سوق الثلاثاء في بني سحوق، وسوق العثمانية، وسوق الأربعاء في زواغة⁽⁵⁾.

ثانيا/ التجارة الخارجية: لقد كان للموقع الجغرافي لمقاطعة قسنطينة المطل على البحر في الشمال والمحادي للحدود التونسية والممتدة في الصحراء أثرا في ازدهار التجارة وتنوعها حيث كانت برية شرقية جنوبية وبحرية شمالية مع الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وكانت لقسنطينة علاقات تجارية مع الخارج عن طريق تونس وعنابة،⁽⁶⁾ وكان لتجارة الداخلية دورا في وجود شبكات طرق سير برية منها: الطريق العرضاني الشمالية الذي كان

(1) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ص 172-173.

(2) - فلة القشاعي: المرجع السابق، ص 19.

(3) - عزالدين بومزو: المرجع السابق، ص 72.

(4) - فلة القشاعي: مرجع سابق، ص ص 19-20.

(5) - أحميذة عميراوي: المرجع السابق، ص 26.

(6) - عز الدين بومزو: مرجع سابق، ص 73.

يربط تونس بفأس مرورا بمدن الكاف وقسنطينة والجزائر وسطيف ووهران تلمسان وجدة، وتباع به كل المنتوجات⁽¹⁾، كما كانت كل من مصر طرابلس المغرب تنافس الجزائر في المبادلات التجارية⁽²⁾.

ونذكر "يحي بوعزيز" أن التجارة الخارجية تتم مع القوافل التجارية الصحراوية الكبرى التي تغدو وتروح بين موانئ الشمال البحرية وأسواق واحات أعماق الصحراء الكبرى في التشاد، النيجر، مالي، أفريقيا الوسطى، السنغال، السودان الغربي... الخ، وبعض هذه القوافل تعبر الشرق الجزائري والبلاد الجزائرية عرضا والبعض يعبرها طولا من الشمال إلى الجنوب والعكس⁽³⁾.

أما بالنسبة للصادرات فقد كانت المبادلات التجارية مع قارة أوروبا تقوم على التصدير المنتوجات الفلاحية والحيوانية، فمثلا باتجاه مرسيليا وليفورت وجهوا 20000 قنطار من الصوف بسعر ثماني دولارات للقنطار و600 قنطار من الشمع بسعر 30 دولار للقنطار⁽⁴⁾.

ويعتبر ميناء بونة الشريان الرئيسي الذي تمر منه كل المبادلات التجارية بين بايلك قسنطينة وباقي المدن أمثال: ليفروم، مرسيليا، جنوة، والذي زاد في تدعيم ميناء عنابة⁽⁵⁾، كما أن أهم الصادرات كانت متمثلة في المرجان، الحبوب، الصوف، الجلود، الزيوت، الشمع، ريش النعام، ولكن يعتبر المرجان من أهم صادرات الشرق الجزائري⁽⁶⁾. بينما مسألة التداول والتعامل فيما يخص العملة قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر فهي السلطاني، نصف

(1) - أحمدية عميراي: المرجع السابق، ص26.

(2) - وليام شالر: المصدر السابق، ص104.

(3) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص174.

(4) - وليام شالر: مصدر سابق، ص103.

(5) - نصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية- دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص455.

(6) - عز الدين بومزو: المرجع السابق، ص77.

السلطاني، ربع السلطاني، المجيدي، الريال بوجو، الريال محبوب، نصف بوجو، ربع بوجو، ثمن بوجو، الدورو، الموزونة، الصائمة، الدرهم، الريال الإسباني، القرش المكسيكي، التلاري النمساوي، الجنيه الفرنسي، الريال الفرنسي، الفرنك الفرنسي، الويزة الفرنسية. أما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر فقد ألغيت كل هذه العملات وعوضت بالفرنك الفرنسي، وبقي منها متداولاً بالصحراء إلى نهاية القرن⁽¹⁾.

IV. الأهمية التاريخية للشرق الجزائري:

يتميز إقليم الشرق الجزائري بموقعه الجغرافي الاستراتيجي فضلاً عن احتوائه على موارد وثروات طبيعية هامة، حيث استقطب عبر الأزمنة العديد من القبائل باختلاف توجهاتهم، ولقد تعرض هذا الإقليم للعديد من الغزاة عبر العصور لأهمية الموقع كغيرها من ربوع الوطن، وآخرها الاحتلال الفرنسي الاستعماري والذي قوبل بالعديد من المقاومات الشعبية منذ دخوله إلى الإقليم وذلك إلى غاية ثورة 1954م.

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية طيلة الفترة العثمانية (1518/1830م)، بعدم الاستقرار ومع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وصلت إلى حد القطيعة لعدة أسباب أبرزها ديون القمح التي أدت إلى حادثة المروحة (1827م). وإعلان فرنسا الحصار البحري على الجزائر الذي انتهى باحتلالها للجزائر العاصمة في 05 جويلية 1830م⁽²⁾، فاتجهت أنظار الفرنسيين إلى الشرق الجزائري لإحتلال عاصمته مدينة قسنطينة⁽³⁾. وقد صرح الحاكم العام "دورفيغو" (De rovig) (1831-1833م)، أن فرنسا لا يمكنها بأي حال من

(1) - يحي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص175.

(2) - بورمضان عبد القادر: "الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة 1830-1832م"، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشرة، ع48، يونيو 2020م، ص ص132-144.

(3) - قسنطينة: إسمها في القديم سيرتا وهو اسم كنعاني فينيقي يعني المدينة او القرية الكبيرة كانت مهد الاستقلال البربري أيام قرطاجة. قضى الاحتلال الفرنسي على التوازن التقليدي الذي كان موجود بين السلطات الحاكمة التي تعاقبت على المدينة وبين سكانها وأشرفها واستبدلت به حكما عسكريا صارما... للمزيد ينظر: عبد العزيز راس مال: الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع دراسة أنثروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها، ج2، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2011م، ص ص187-188.

الأحوال أن تثبت أقدامها على أرض الجزائر دون السيطرة على الشرق الجزائري عامة ومدينته قسنطينة بصفة خاصة⁽¹⁾.

وفي سياق سياسية التوسع الفرنسية المبكرة في الشرق الجزائري استهدف القادة العسكريين مدينة عنابة لأهميتها الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية لفرنسا⁽²⁾. وذلك لتشكيل المنفذ البحري الرئيسي للشرق الجزائري⁽³⁾، لذلك عمل الداوي حسين على توجيه تعليمات إلى أحمد باي لحماية هذه المدينة خلال فترة الحصار البحري للسواحل الجزائرية (1827-1830م)، والتي كانت تعيش اضطرابات وأوضاعا صعبة عشية الاحتلال الفرنسي والتي ميزها سوء العلاقات بين أحمد باي وسكانها وقادة جيوشه "بن زقوطة" ثم "بن عيسى" فقامت فرنسا بثلاث محاولات لاحتلال مدينة عنابة، كانت المحاولة الأولى عام 1830م قادها الجنرال "داميريمون" وفشلت بسبب ثورة باريس والثانية سنة 1831م في شكل دعم مادي وعسكري لسكان المدينة بقيادة القائد هودر ضد "أحمد باي"⁽⁴⁾ قادها النقيب "بيغو"⁽⁵⁾.

والتي انتهت بنكسة فرنسية دبرها "إبراهيم باي" وأما الثالثة عام 1832م قادها النقيب "دارمندي" والمملوك "يوسف" والتي كللت بالنجاح في احتلال المدينة وانسحاب قوات بايلك قسنطينة⁽⁶⁾. هنا أدرك "أحمد باي" النوايا العدوانية للمحتل لذا جعل من شرط الجلاء عن المدينة شرطا أوليا لابد من توفره قبل التفاوض عن أي صلح بينه وبين قوات الاحتلال.

(1) - العياشي روابحي: "الاحتلال الفرنسي لقسنطينة عاصمة بايلك الشرق الجزائري عام 1837م وردود فعل أعيان أريافها"، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، رقم 05، جامعة باجي مختار - عنابة، 2010م، ص 366.

(2) - بورمضان عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 132-144.

(3) - العياشي روابحي: مرجع سابق، ص 366.

(4) - أحمد باي: آخر بايات قسنطينة كان عهده من 1826 الى غاية 1837م. ينظر: ياسر فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة قلمة، 051945/08 م، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2019/2018م.

(5) - بورمضان عبد القادر: مرجع سابق، ص ص 132-144.

(6) - المرجع نفسه، ص 132/144.

وفي 21 جانفي 1836م تلقى المملوك "يوسف"⁽¹⁾ أمرا من الجنرال "كلوزيل" (Clouzal) ، يأمره فيه باحتلال مدينة قسنطينة وتنفيذا لهذا شنت حملة عسكرية ضد المدينة مني فيها الجيش الفرنسي بكارثة عسكرية سيكولوجية خطيرة وعزل "كلوزيل" وتم تعويضه بالماريشال "دامريمون" الذي بدوره استدعى النقيب "فولتز" (Foltz)، وكلفه بمهمة استعلامية سرية حول الوضع في قسنطينة وطلب منه إعداد تقرير مفصل عن ذلك وتزويده بمعلومات عن القوة العسكرية للحاج "أحمد باي"، وفي هذا التقرير شنت حملة عسكرية ثانية ووفرت لها فرنسا كل شروط النجاح خاصة بعد توقيع معاهدة التافنة في ماي 1837م مع "الأمير عبد القادر"، وفي 05 أكتوبر 1837م بلغت الحملة العسكرية الثانية سطح المنصورة رغم المقاومة التي أبدتها جيش "الحاج أحمد باي" التي أدت بحياة الماريشال "دامريمون" بتاريخ: 12 أكتوبر 1837م. إلا أنها استطاعت إحتلال المدينة وبالتالي سقوط مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق في قبضة المحتل في 13 أكتوبر 1837م، وبهذا تكون فرنسا قد بلغت الهدف الذي خطت له مباشرة بعد احتلالها للجزائر العاصمة⁽²⁾.

بعد الاستيلاء على قسنطينة عام 1837م⁽³⁾ كان لابد من إخضاع واحتلال الجنوب الشرقي من قسنطينة ومن ضمنه الأوراس الذي توجه واعتصم به "أحمد باي" وخليفة الأمير "عبد القادر محمد الصغير بن عبد الرحمن" ومن تبعهما من المقاومين للاحتلال، فقرروا دخول الأوراس⁽⁴⁾ بجيش كبير قاده عقداة وجنرالات على رأسهم الجنرال "بودو" (Bedeau)،

(1)- ذكر شارل أندري جوليان أن المملوك يوسف هو مهندس للحملة الفرنسية على قسنطينة وهو من حفز وأقنع الماريشال كلوزيل على القيام بعمل عسكري ضد المدينة قصد إخضاعها... للمزيد ينظر: العياشي رواجي: المرجع السابق، ص 367.

(2)- المرجع نفسه، ص ص 367-368.

(3)- كمال بيرم: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي 1840/1954م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2011م، ص 23.

(4)- تطلق كلمة الأوراس على كل من: باتنة وخنشلة شمالا، خنشلة وزربية الوادي شرقا، زربية الوادي وبسكرة جنوبا، بسكرة وباتنة غربا. ينظر: عبد الحميد زوزو: ثورة الأوراس سنة 1879م، ط.خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م، ص 17.

(Bedeau)، والعقيد "مكماهون" (Mac Mahon)، والجنرال (Le vasser)،⁽¹⁾ وتوجهت القوات من قسنطينة إلى الجنوب الشرقي بقيادة الدوق "دومال"⁽²⁾ (Duc-Doumale)، ووصلوا إلى باتنة في 04/02/1844م، وكونت معسكرا لحملتها كمرحلة أولى وأشرف عليها العقيد "بوتافوكو" (Bettafoco)، وواصلت الحملة تقدمها عبر ممر القنطرة إلى مدينة⁽³⁾ بسكرة⁽⁴⁾ التي تم احتلالها عام 1844م⁽⁵⁾ واسقروا أول مرة بالقلعة التركية، ثم أقاموا مخططهم الشطرنجي خارج المدينة العربية لعزلهم ومراقبتهم ومراقبة سلامة المعمرين وبهذا كونوا نسيجين، النسيج العربي العتيق والنسيج الفرنسي الحديث⁽⁶⁾.

وفي 15 مارس 1844م، خرجت حملة بقيادة الدوق "دومال" من بسكرة نحو بوابة الأوراس الجنوبية قرية مشونش فقامت حرب بين هؤلاء واستمرت المقاومة نصف يوم انتهت بتراجع قوات الاحتلال إلى بسكرة وإصابة النقيب "إسبيناس" (Espinasse)،⁽⁷⁾ والتحق بمعسكر الجيش الفرنسي بباتنة وقاموا بعدة مواجهات لاحتلال الأوراس من الجنوب الأ أنها باءت بالفشل لتأتي بعدها الحملة الثانية لاختراق الأوراس من الشمال ففي 29 أبريل 1845م

(1)- سفيان لوصيف: "المراكز الثقافية في منطقة الاوراس (1848/1954م) - قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي"، دورية كان التاريخية، العدد الخامس عشر، مارس 2012م، ص ص33-39.

(2)- دومال: ابن الملك لويس فيليب كانت فترة حكمه من 1830 الى 1848م. ينظر: محمد العيد مطمر: "الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة 1844/1884م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع10، جامعة محمد خيضر بسكرة، نوفمبر، 2006م، ص 97.

(3)- محمد العيد مطمر: المرجع السابق، ص ص81-82.

(4)- بسكرة: تعتبر قاعدة الزيبان إذ تتميز بموقعها الاستراتيجي الذي يعد حلقة وصل بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري وتمتد هذه المنطقة بمحاذاة الحدود التونسية وجبال الاوراس في الشمال كحاجز طبيعي يفصلها التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيع ووحدات وادي سوف ووادي ريغ وتلقب الولاية بعروس الزيبان وبوابة الصحراء الكبرى... للمزيد ينظر: عبد القادر بومعزة: بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، (د.س)، ص ص19-25.

(5)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860/1900م، ج1، المرجع السابق، ص86.

(6)- عبد القادر بومعزة: مرجع سابق، ص30.

(7)- محمد العيد مطمر: المرجع السابق، ص 82.

تجمعت وحدات بمختلف الأسلحة بمعسكر باتنة⁽¹⁾ وبلغ تعدادها 5070 مقاتل وضعت تحت قيادة الجنرال "بودو" (Bedeau) بالإضافة إلى مختلف العتاد.

انطلقت الحملة بتاريخ: 01 ماي 1845م لاحتلال الأوراس، من الشمال وتمركزوا بوادي سودس وفي اليوم الموالي واصلوا التقدم إلى منطقة الشروف ثم سهل يابوس وكان جيش "أحمد باي" في استقبالهم وقامت معركة بينهما في جبل أم عشرة انتهت بانسحاب المجاهدين إلى الروابي، وفي اليوم التالي استأنف القتال وكذلك انسحب المجاهدين إلى عمق جبال الأوراس وواصلت الحملة توسعها وأقامت معسكرات لمواجهة كل من بني وجانة، بوحمامة، شليا، كيمل واستطاعوا إخضاعهم، وفي 14 ماي 1845م تم احتلال وادي عبيد و تم احتلال المنعة في الثاني والعشرين من نفس الشهر. لكن لم يتم العثور على "أحمد باي" وخليفة الأمير "عبد القادر". وفي 04 جوان 1845م، توجه الجنرال "بودو" نحو أعراش الجهة الشرقية للأوراس وتم إخضاعهم⁽²⁾. وتم احتلال الأوراس بكامله بعد استسلام "أحمد باي" سنة 1848م، وعاد الجنرال "بودو" إلى باتنة وقام سكان المنطقة بمناهضة المخططات الاستعمارية لاسيما الثقافة بصلابة منذ نزول المحتل أرضهم، وكان هناك نفور واشمئزاز من المستعمر، وقد حصر "حمدان بن عثمان خوجة" الفعل المكتسب لسكان الأوراس للمحتل في العوامل التالية:

- كون الجزائريين ومنهم سكان الأوراس يعتبرون أن الفرنسيين لا يقاومون إلا بالتعصب الديني.
- الشعور بالاعتداء من قبل الأمة الأجنبية التي استعملت القوة والتحايل.
- خشية النتائج التي ستؤول إليها بعد اغتصاب أملاكهم⁽³⁾.

(1)- محمد العيد مطمر: المرجع السابق، ص 82.

(2)- المرجع نفسه، ص 82-85.

(3)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص 33-39.

- وبسقوط هذه المنطقة تكون الإدارة الأستعمارية قد بلغت الهدف الذي خطت له مباشرة بعد احتلالها للجزائر العاصمة وهو السيطرة على الشرق الجزائري رغم المقاومة الباسلة التي أبداهـا "أحمد باي"⁽¹⁾.

(1) - العياشي روابحي: المرجع السابق، ص368.

تمهيد:

بذلت الإدارة الفرنسية مجهودا لتحطيم كيان الأمة الجزائرية الإسلامية، ركزت في حملتها هذه على العامل الديني بغية نشر المسيحية، وذلك لتحقيق أهدافها الاستعمارية وعملت على توسيع التنصير في كل ربوع الوطن عامة وفي الشرق الجزائري خاصة. يقول "دوبا نلوب" خلال الحملة الفرنسية على الجزائر لكتائب الجيش الفرنسي وهو يحثها على المضي في الحرب: «تقدمي، تقدمي أيتها الكتائب الفرنسية! إرفعي الصليب في "هيون" (عنابة)! ... فكي خلاصة سوريا إرجعي القسطنطينية إلى المسيح! إن وطنيتي المتحمسة لا تحي هذا الفلاح الخافت الذكر هذا الجنرال البارع هذه الحرب البارعة (حرب الجزائر) هذا الجيش العصري، لأنني أحب التضحية والعبقرية وتقدم فرنسا، بكل هذه العناوين أقول الشرف لجيش فرنسا في افريقيا ... لقد تسلمت فرنسا من يديه أرضا (الجزائر) يمكن أن تكون أجمل مستعمرة في العالم، و واحدة من أشرف أمانى الحضارة المسيحية»⁽¹⁾.

ولكي تنجح فرنسا في تجسيد مشروعها التصيري في الجزائر، جاءت ببعثات تصيرية لتفكيك المجتمع الجزائري المسلم وذلك عن طريق مختلف الوسائل والإغراءات التي تساعدها على جذب واستقطاب الجزائريين المسلمين.

1. مفاهيم عامة:

1. التنصير:

لغة: عند الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة تجد الفعل "نَصَرَ"، "يُنْصِرُ"، "نَصْرًا": بمعنى منح، والنصائر: تعني العطايا⁽²⁾، وقال صاحب الصحاح: « وَنَصَرَهُ وَجَعَلَهُ

(1)- صالح عوض: معركة الاسلام والصليبية في الجزائر من 1830 الى 1962 دراسة تحليلية، ج1، ط1+2، مطبعة دحلب، الجزائر، 1989م، ص176.

(2)- ابراهيم زلافي: "رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر -التنصير أنموذجا عرض ونقد"، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع08، ديسمبر 2015م، ص307.

نَصْرَانِيًّا»⁽¹⁾. ونُصْرَانُ قرية بالشام وينسب إليها النصارى ويقال: نَاصِرَةٌ. أما كلمة التَّنصِيرُ فتعني الدخول النصرانية، ونَصْرَةٌ: جعله نصرانيا. والتنصير: مصدر نَصَّرَ أي جعله نصرانيا⁽²⁾.

كما نجد هذا المعنى في قوله تعالى: «... وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسَوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ اللَّهَ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»⁽³⁾.

وقد جاء أيضا في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «... كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»⁽⁴⁾. وينصرانه بمعنى يجعلانه معتقفا في النصرانية.

-وفي نفس السياق يقول "الزبيدي": « وتنصر الرجل دخل إلى النصرانية في المحكم في دينهم، ونصره تنصيرا جعله نصرانيا »⁽⁵⁾. وقال "ابن منظور" في لسان العرب: التنصير الدخول في النصرانية وفي المحكم الدخول في دين النصارى، ونصره وجعله نصرانيا»⁽⁶⁾.

-ب/ إصطلاحا: يقصد بالتنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة وبين المسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على تلك الشعوب⁽⁷⁾.

(1) - اسماعيل بن حمادة الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، ط4، تر: أحمد الغفور عطار، دار العلم للملايين، 1999م، ص829.

(2) - ابراهيم زلافي: المرجع السابق، ص307.

(3) - سورة المائدة، آية14.

(4) - صححه البخاري، ج/246، كتاب الجنائز جاء ما قيل في اولاد المشركين ومسلم، ج/2047، باب القدر باب معين كل مولود على الفطرة.

(5) - محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جوهر القاموس، ج4، تر: عبد الحليم المجاوي، مطبعة حكومة الكويت، (د.س)، ص230.

(6) - ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص444.

(7) - الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية، الشباب الاسلامي، ط1، الرياض، 1988م، ص159.

وقد عرفه "عبد العزيز بن إبراهيم" بأنه عملية تحويل المسلمين من الإسلام والذي هو دينهم إلى دين النصرانية أو الدعوة إلى دين النصرانية ومحاولة نشر عقيدتهم وتشكيك المسلمين في تاريخهم وزعزعة عقائدهم⁽¹⁾، كما هو إدخال غير النصارى في النصرانية⁽²⁾، والدعوة إلى الديانة النصرانية ومحاولة نشر عقيدتها في أنحاء العالم بالوسائل والإرساليات المتنوعة والدعوة إلى الدين من مبادرات النصرانية ولم تعرف قبل تاريخها فلا أثر لها في الأديان القديمة⁽³⁾.

كما هو قيام مجموعة من المناصرين باحتلال منطقة والعمل على تنصير أهلها⁽⁴⁾، بإدخالهم في النصرانية⁽⁵⁾، وذلك ببناء الكنائس والتي ترجع رعايتها تدريجاً للأهالي دون مساعدات من الكنيسة الأم، ليتم بعدها نشر التنصير باستغلال السكان للمناطق التي لم يصل لها التنصير بعد⁽⁶⁾.

2. التبشير:

لغة: كلمة التبشير فهي من الفعل بَشَرَ، يُبَشِرُ، بَشارة، بشره تبشيراً أي فرحه وبلغ البشرى وهي الخبر السار، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وقد تكون الشر إذا كانت مقيدة⁽⁷⁾، بما يدل عليه قوله تعالى «... فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»⁽¹⁾. ولم ترد كلمة التبشير في

(1) - عبد العزيز بن إبراهيم العسكر: التنصير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية الموسوعات، الرياض، 2007م، ص19.

(2) - أمال عاطف: محمد الخضري: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، مذكرة ماجستير في العقيدة الإسلامية بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 1425-2015، ص14.

(3) - بسام المسلماني: "التنصير في إفريقيا أساليبه ووسائله وأثاره"، مجلة قراءات إفريقية، المنتدى الإسلامي لندن، ط1، 2015م، ص14.

(4) - علي بن إبراهيم الحمد النملة: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهتها، (د.ن)، (د.ب)، (د.س)، ص23.

(5) - جمال حواوسة: "أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية مقارنة سوسيو تاريخية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المسيلة، ص351.

(6) - علي بن إبراهيم الحمد النملة: مرجع سابق، ص23.

(7) - سلمان سلامة عبد المالك: اضواء عن التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة للنشر والتوزيع، مصر، 1994م، ص ص18 19.

النصرانية إلا في معجم واحد الذي جاء فيه تبشير مصدر بشر إما ان تكون بشر بالخبر أي جاء بمجرد الخبر⁽²⁾، كقوله تعالى: « يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ »⁽³⁾.

وقد يكون التبشير فكرة عرف بها أو دين يدعو إليه، وذلك كما تقوم به الكنائس النصرانية والبشارة في النصرانية هي الإنجيل والبعث التبشيرية هي هيئة دينية تدعو إلى النصرانية⁽⁴⁾.

ويقال كذلك أن التبشير هو بشرى بالخير استنادا لقوله تعالى: «... وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات»⁽⁵⁾.

ونرى أن البشرى إما أن تكون للخبر السار أو الغير سار وإما أن يحمل خيرا أو شرا ويتبين لنا أن (بشر، يبشر، تبشيرا) فهو مبشر بالخير أو الخبر السار إذا أطلقت، وإذ اقصد بها الشر تكون مقيدة.

اصطلاحا: التبشير في مفهومه الاصطلاحي هو دعوة للدخول في الدين المبشر وهو مفهوم عام ويختص برسالة بعينها، أو دين بعينه أو ملة بذاتها⁽⁶⁾، وقد انحرفت وظيفة التبشير عن أصلاته وأصبح وسيلة من شتى وسائل الشر والتضليل، و التي يعتمد عليها الاستعمار⁽⁷⁾. فإذا خصصنا تعريف التبشير في العالم الإسلامي عرف أن القصد من ذلك التبشير برسالة عيسى عليه السلام، ليس كما أنزلها الله رسالة هادية وإنما فكر محرف يخدم

(1)- سورة لقمان: الآية 07.

(2)- أمال عاطف، محمد الخضري: المرجع السابق، ص02.

(3)- سورة مريم، الآية 08.

(4)- أمال عاطف، محمد الخضري: مرجع سابق، ص02.

(5)- سورة البقرة: الآية 20.

(6)- محمد زين العابدين، محمد الطشو: التبشير في العالم الإسلامي أهدافه وآثاره، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، 1987م، ص ص 35 36.

(7)- محمد عبد الكريم الجزائري: الدعوة الإسلامية والاستعمار والتبشير والصهيونية، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت)، ص 19.

الاتجاه الغربي، ويساعد الاستعمار الأوروبي على إحكام قبضته على العالم بأسره⁽¹⁾.
ويختلف تعريف التبشير عند المسلمين والمسيحيين فنجد أنه عند:
أ-المسيحيين: اختلفت معانيه عند النصارى باختلاف العصور التي مرت بها النصرانية فهو إما إرسال بعثات تبشيرية لتبليغ رسالة الإنجيل لغير المؤمنين به، أو إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين به، وفي تعبير آخر هو الدعوة للانتماء للكنيسة لعبادة المسيح عيسى عليه السلام ربا مخلصا وذلك بتبليغ الجماعات والأفراد، فالتبشير المسيحي عرف في بداياته الأولى أنه كان موجه لقوم إسرائيل فقط دون غيرهم، وذلك بناء على أن المسيح أكد على خصوصية رسالته لقوم إسرائيل قائلا: «لم أرسل إلا خرافي بني إسرائيل الضالة». وتوسعت دائرة التبشير على يد "بولس" المنصر إثر ما يزعمه لرؤيته "لعيسى ابن مريم" في المنام يأمره بذلك قائلا: «تلمذوا جميع الأمم»⁽²⁾.

ولقد استخدم النصارى هذه الكلمة ونقصد بها هنا التبشير إخفاء حقيقة ما يريدون لملائمة هذه الحقيقة حسب الظروف أمر مهم في عملية التصير، فالتبشير مشبع بالإحياء بأن ما يقوم به المنصر في دعوته⁽³⁾ إذن هو عند المسيحيين الأوروبيين هو هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المبشرون المسيحيين لتبشير خاصة الإسلام⁽⁴⁾.

ب-التبشير عند المسلمين: ويعرفونه على أنه توسيع الدائرة الجغرافية وعدد الأتباع بمختلف الوسائل والسبل⁽⁵⁾، وذلك لتبليغ تعاليم النصرانية إلى المسلمين وإعلامهم بأن موت

(1)- محمد زين العابدين، محمد الطشو: المرجع السابق، ص 36.

(2)- أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1981م، ص ص 17 18.

(3)- محمد عثمان صالح: النصرانية والتصير أم المسيحية والتبشير، ط1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، 1989م، ص ص 42- 43.

(4)- محمد إسماعيل الطهطاوي: التبشير والاستشراق، ط1، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1999م، ص 17.

(5)- بولطيف سليمة: حرية المعتقد في الجزائر دراسة تحليلية قانونية على ضوء التطورات الداخلية والضغوطات الخارجية، أطروحة دكتوراه، تخصص قانون عام، جامعة باتنة 1، 2017/2018م، ص 93.

عيسى على الصليب كان فداء للبشرية من الخطيئة الأصلية وهو إخراج الناس من دينهم وإدخالهم في النصرانية⁽¹⁾، ولقد صار من اللازم استبدال مصطلح التبشير بمصطلح التصير لأن كلاهما يستهدف العالم الإسلامي وذلك لحقدهم وكرهيتهم للإسلام والمسلمين فالأولى بلفظ التبشير هو المسلم إيماناً بأن الدين الإسلامي هو آخر وأكمل ديانة على وجه الأرض⁽²⁾، وذلك لقوله تعالى: «... اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»⁽³⁾.

ويطلق لفظ التبشير على حركة نشر المسيحية قبل الإسلام وكان دعاة المسيحية يحملون للشعوب الوثنية بشارة الإنجيل، وقد إنتهى دور هذه البشارة بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور الإسلام، فأصبحت الرسالة من ذلك الوقت هي البشرى للناس أجمعين⁽⁴⁾، تأكيداً لقوله تعالى: «...وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً»⁽⁵⁾. و بهذا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبشر والمنذر للعالمين والمسلمين من أتباعه والمؤمنين برسالاته والعاملين على إبلاغهم المبشرين ولا يصف وصف سواهم بهذا الوصف⁽⁶⁾.

3. تعريف الآباء البيض:

تأسست الفرقة الدينية أي "جمعية الآباء البيض" في الجزائر بعد نكبة المجاعة وكان ذلك على يد الكاردينال "لافيجري" سنة 1869م⁽⁷⁾، وتعتبر من أنشط البعثات التبشيرية (الملحق رقم 04) في الجزائر وكان الهدف من تأسيسها منافسة البعثات البروتستانتية التي

(1)- محمد عثمان صالح: المرجع السابق، ص42.

(2)- بولطيف سليمة: مرجع سابق، ص94.

(3)- سورة المائدة: الآية 03.

(4)- بولطيف سليمة: مرجع سابق، ص 94.

(5)- سورة سبأ: الآية 28.

(6)- ممدوح حسين: مدخل الى تاريخ حركة التصير، ط1، دار عمان، عمان، 1995م، ص 06.

(7)- محمد الحاكم بن عون: المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1954م، أطروحة دكتوراه،

تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة باتنة 1، 2018-2019م، ص 94.

تدفقت على الجزائر من أوروبا⁽¹⁾. وأطلق عليها "أبو القاسم سعد الله" تسمية جنود الكاردينال "لافيجري" وكانت مهمتهم زرع الفتنة ورد المسلمين عن دينهم مستغلين في ذلك الأمراض والمجاعات⁽²⁾.

وكان اللباس الذي يلبسه المنصرون والمنصرات يشبه إلى حد كبير اللباس العربي الجزائري (الملحق رقم 05)⁽³⁾، وكان أول من تطوع في هذه الفرقة ثلاثة رجال دين من المدرسة الإكليريكية بالقبة وكان الأب "جيرارد اليسوعي" هو من نصحهم بهذا اللباس، وتطلب تدعيم هذه الفرقة جهودا ورجالا ولذلك وجه "لافيجري" يوم 10 ماي 1869م نداء إلى كل المدارس الإكليريكية يحث من فيها للانضمام إلى فرقة الآباء البيض والوقوف أمام الإسلام وحدث هذا منذ بداية القرن التاسع عشر. وأدرك "لافيجري" أن اللباس الديني المسيحي سيخلق هوة بين المنصرين والمسلمين الجزائريين لذلك أشار على أعضاء الفرقة أن يتقربوا إلى الأهالي و يتخذوا عاداتهم وطرق معيشتهم ولباسهم ولغتهم⁽⁴⁾.

وأختير لهم اللون الأبيض الذي يتكون من عباءة طويلة مصنوعة من الصوف أو القطن ويوضع فوقها برنوس أبيض اللون، وشاشية حمراء توضع فوق الرأس، إنسجاما مع الزي التقليدي الجزائري وتحاط الرقبة بمسبحة وردية اللون، يتدلى من طرفها صليب أبيض أو أسود⁽⁵⁾، وكثيرا ما يترك الأب لحيته طويلة وهذه الطريقة جعلت هذه الفرقة تحنك بالسكان بالسكان الجزائريين احتكاكا شديدا⁽⁶⁾.

(1)- صالح عوض: المرجع السابق، ص208.

(2). محمد الهادي الحسني: من وحي البصائر، ط1، تق: صالح ناصر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م، ص 42.

(3)- شارل روبيير اجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص557.

(4)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص11.

(5)- خوجة عبد العزيز، داود عمر: "مؤسسة الآباء البيض الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي - ملامسة سوسيو تاريخية تاريخية بمنطقة غرداية"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع2، جوان2012م، ص 100.

(6)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص129.

وبغية التوغل أكثر في المجتمع الجزائري ضم "لافيجري" الأخوات البيض⁽¹⁾ (Les soeurs Blanches) (الملحق رقم 06) لذا عندما نتحدث عن الآباء البيض فإن الموضوع يضم الأخوات البيض كذلك⁽²⁾، وفي 1869م تم تأسيس الراهبات لإرساليات السيدة الافريقية واللتان دعتا لمساعدة الآباء البيض وكان أول المرسلين ثماني فتيات صغيرات من "بريتون"⁽³⁾ وكان الكاردينال لافيجري والآباء البيض والرهبان والراهبات يرتدون رداءاً صريحاً وسلمياً دون أسلحة يطبقون الأوامر العسكرية، وهم من الأبطال الخلفاء الذين أسسهم الفرنسيون في القدس منذ زمن بعيد وذلك منذ الحروب الصليبية⁽⁴⁾، وقد وضع "لافيجري" برنامجاً صارماً لتكوين المنصرين التابعين له، ويدوم تكوين المبشر خمس سنوات والتي تمر بمرحلتين:

الأولى/ يقتضي على المبشر تدريبه في المدرسة الابتدائية الدينية بالحراش⁽⁵⁾.

الثانية/ ينتقل إلى كلية اللاهوت⁽⁶⁾ بتونس وقرطاج و خلالها يأخذ علم اللاهوت واللغات و العربية ليكون قادراً على مخاطبة الجزائريين والتعامل معهم ويجعلهم يقبلون المسيحية. ولقد وضع "لافيجري" قواعد منهجية لهذه الفرقة والتي تعتمد على الإيمان بالعمل

(1)- الأخوات البيض: حملت عدة تسميات وذلك قبل ان يستقر اسمها على الاسم المذكور أعلاه فعند تأسيسها الأول عرفت باسم Les soeurs Agricoles et Hospitalières du Vénérable Geonimo ليتغير اسمها الى: Les Soeurs de la Missions , ثم حملت اسم Les Sociétés des soeurs Enseignant et Hospitiér de Notre Dame des missions Dàfriques, Société des soeurs Missionaries de : التسمية على تسمية: Notre Dame des missions Dàfriques, لكن التسمية التي بقيت أكثر تداولاً هي تسمية الأخوات البيض Soeurs Blanches.... للمزيد ينظر: سعدي مزيان، المرجع السابق، ص ص 57 86.

(2)- خوجة عبد العزيز، داود عمر: المرجع السابق، ص 101.

(3)- Marie André : Le Liberteur de l'Afrique, Le Cardinal Lavigerie, Édition du Clocher , Toulouse , 1947, pp 21,46, 55.

(4)-Marius- Ary Leblond: Lavigerie Et Les Pères Blancs , Mame , Découvertes Eceploits Héroiques, Série 41, Maison Meme , 1938, p 05.

(5)- خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 130.

(6)- علم اللاهوت: هو علم يدرس كل ما يتعلق باللاهيات. للمزيد ينظر: محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص

التبشيري والثقافي والتضحية من أجله، والتحلي بالصبر لأن العمل جد شاق وطويل والعمل بحذر لأنه ضروري واستعمال الخدمات الخيرية لأنها وسيلة لإنجاح التبشير، وأن يكون شعارها المحبة والتكامل ومن هنا انطلقت فرقة الآباء البيض والأخوات البيض في العمل التنصيري⁽¹⁾، حيث يقول الوزير " روستان " :«كنت سأخدم ريشيليو، كان ريشيليو قد خدم فرنسا فقط، وفي نفس الوقت خدم لافيغري البشرية جمعاء...»⁽²⁾.

وكان الآباء البيض يتقنون اللغة العربية ولغة المنطقة التي يبعثون إليها، ويعيشون كما يعيش سكان الجزائر حتى تكون لهم قدرة التأثير على سكان المنطقة التي يتواجدون بها⁽³⁾، وكانت مهامهم تتلخص في التنصير، التمدين، العلاج، التعليم، التهذيب الأخلاقي⁽⁴⁾. وتمثل شعارهم في: « علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها الإنجيل... تلك هي رسالتنا الإلهية»⁽⁵⁾.

وكانت أساليب المبشرين تقوم على تعليم الأطفال وإقامة المستشفيات والملاجئ وإسعاف المرضى وتوفير كل الخدمات الإنسانية كل هذه الأعمال تمهد لتنصير الجزائريين وتهيئة الظروف لاعتناق الدين المسيحي (الملحق رقم 07)⁽⁶⁾.

II. وسائل التنصير وعلاقتها بالأوضاع في الشرق الجزائري:

1/ التعليم:

قال "دوم دوك": « فتح مدرسة فرنسية في أوساط الأهالي تعادل معركة عسكرية من أجل استتباب الأمن والاستقرار في الجزائر وتعزيز شأن المستعمر»⁽¹⁾. و لإنجاح المشروع

(1) - خديجة بقطاش: لمرجع السابق، ص 130.

(2) -Marius -Ary Leblond: Ibid, p:07.

(3) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص ص76-77.

(4) - المرجع نفسه، ص 83.

(5) - صالح عوض: المرجع السابق، ص ص 208-209.

(6) - عبد القادر حلوش: سياسية فرنسا التعليمية في الجزائر، برج الكيفان الجزائر، شركة دار الأمة، 2010م، ص 47.

التصيري شرع المستعمر الفرنسي في تطبيق المشروع العلماني⁽²⁾. قد أدرك المنصرين الدور الخطير الذي يلعبه التعليم في ميدان التصير⁽³⁾، ولهذا استغل منصرين العلم بكل الطرق وفي قول أحد المنصرين: « إن المدارس والكليات التي تشرف عليها الكليات كانت تعتبر في الدرجة الأولى واسطة لتمرين قس الكنيسة».

كما استعملت فرنسا التعليم في نشر الفكر المسيحي والقضاء على الإسلام وجعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا⁽⁴⁾، واستعماله وسيلة للتواصل مع السكان بتعليم أطفالهم الصغار كونهم الأكثر استيعاباً من غيرهم، ويقول أحد الباحثين الجزائريين اتخذت الحملة التصيرية وسائل مختلفة وأقوى صورة في نضره هي صورة التعليم وتكوين مؤسسات ثقافية وسط البلاد الإسلامية وأنها تتجه إلى الأطفال الصغار والشباب وهم الذين سهل التطرق إلى قلوبهم والنفوذ إلى عقولهم أما الكبار فإن لهم حصانة أقوى⁽⁵⁾، كما عملت فرنسا على منع التدريس باللغة العربية وفرض اللغة الفرنسية وعملت على افتتاح المدارس الفرنسية مثل مدرسة عنابة⁽⁶⁾.

وحتى يستطيع الاستعمار الفرنسي من دمج الأهالي في المجتمع الفرنسي روحياً وثقافياً وفكرياً أي خلق عائلة عربية مسيحية تعيش مثل العائلة الأوروبية ولها نفس التفكير اتخذوا

(1) - يوسف بوعابة: ميادين الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والاستعمار الفرنسي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2018م، ص 252.

(2) - الصادق دهاش: المرجع السابق، ص 34.

(3) - يسلي مقران: الحركة الدينية والاصلاحية في منطقة القبائل 1920/1945م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.س.)، ص 139.

(4) - مصطفى خالدي، عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.س.)، ص 65.

(5) - يسلي مقران: مرجع سابق، ص 140.

(6) - ورود معيط، نوفل وضاح: "سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر 1830/1894م-الجانب الديني أنموذجاً"، مجلة جامعة تشرين للآداب والعلوم الانسانية، مج 43، ع 05، 2010م، ص 117.

من المدرسة وسيلة لبلوغ أهدافهم⁽¹⁾. ومن بين الجمعيات التنصيرية التي استخدمت أسلوب الخدمات التعليمية المجانية في التنصير، جمعية الراهبات الثالوثيات التي ظهرت عام 1840م، بوهران وعملت على فتح ثلاث مدارس للتعليم المجاني الموجه لحوالي 1500 طفل وامتد نشاطها، لتسير المدارس البلدية في المدن والقرى أما جمعية راهبات القلب المقدس فاستقرت بالجزائر العاصمة وأقامت مدرسة خاصة لبنات ضباط الاحتلال، ومدرسة أخرى مجانية لتعليم البنات الفقيرات، وجمعية إخوان القديس "جوزيف دي مانس" التي استقرت بعنابة وسكيكدة ووهران، وتولت إدارة المدارس البلدية في هذه المدن سنة 1843م⁽²⁾.

وأدرك المنصرون أن العلم ذو أهمية ودور في التوجيه والتأثير على الناس فأسأوا إليها إساءة كما أصبح وسيلة في يدهم لخدمة مصالحهم وأطماعهم، ولهذا الغرض قاموا بتوظيف معلمين من المنصرين⁽³⁾، كما كانت الغاية من استغلال العلم والتعليم هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحون أفراد مسحيون⁽⁴⁾، حيث قامت الكنيسة الكاثوليكية الكاثوليكية على فتح عدة مدارس في عنابة ووهران⁽⁵⁾، وفي عام 1878م شرع المنصرين في فتح مدارس يسيرها مسيحيون وفتحت أبواب هذه المدارس للأطفال المسلمين خاصة فئة

(1)-عمار هلال: ابحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 -1962م، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س)، ص110.

(2)- جمال حواوسة: المرجع السابق، ص 355.

(3)- مانع بن حمادة الجهني: التنصير في افريقيا الاهداف والوسائل وسبل المواجهة، (د.س)، 2023/05/03م، الرابط الالكتروني:

https://www.noorbook.com/book/internal_download/49fe448affff91d8a61deb43bcc69b7aad0_p24.c68c8/1/9e537420bdbdaf9f65806b0a33104ca1

(4)- سلمان سلامة عبد المالك: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة، شارع جزيرة صران، 1994م، ص50.

(5)- جمال حواوسة: المرجع السابق، ص351.

اليتامى والفقراء قصد تنصيرهم⁽¹⁾، وتجريدهم من ثوب العربية والإسلام، حيث سجل في فترة الكاردينال "لافيجري" واحد وعشرون مدرسة مسيرة من طرف الآباء البيض يدرس فيها حوالي 1039 تلميذا. وأما البرامج الدراسية في هذه المدارس فكانت تركز على تدريس تاريخ الكنيسة الإفريقية ونصوص الديانة المسيحية ذات الطابع المسيحي الصريح والتي كانت تهدف كلها إلى هدم الأخلاق والعقيدة الإسلامية وبث التقديس للأمة الفرنسية المسيحية وحضارتها وثقافتها⁽²⁾.

وفي 1896م فتحت مدارس فرنسية وصل عدد التلاميذ فيها إلى 200 تلميذ في التكوين المهني، كما كانت هناك مؤسسات تنصيرية تابعة للآباء البيض منها "السمنار الصغير"، كان هدفها هو التنصير وإبعاد تلاميذها عن دينهم ولغتهم⁽³⁾. ولقد اهتم الآباء البيض بالعائلات الفقيرة في الغالب إضافة إلى الأطفال اليتامى بالخصوص⁽⁴⁾. كما استعمل الآباء البيض أساليب كثيرة في التأثير على الأطفال والتقرب منهم ومن بينها تقديم الحلوى للأطفال مستغلين في ذلك حبهم لها وكانت الغاية من هذا الأسلوب هو السيطرة عليهم ويتم ذلك عند زيارتهم للأهالي⁽⁵⁾. وكذلك توزيع النقود على كل طفل يأتي إلى المدرسة بانتظام وتقديم الطعام والمأوى للتلاميذ الذين يقطنون بعيدا قصد عزلهم عن ذويهم وابقائهم في هذه المدارس لمدة طويلة وإقامة الحفلات والألعاب الرياضية في العطل الأسبوعية لإغراء الأطفال بالقدوم إليها والمكوث فيها وغير ذلك من الأساليب الإغرائية⁽⁶⁾.

(1) - طويل حياة: المرجع السابق، ص 224.

(2) - المرجع نفسه، ص 324-325.

(3) - جمال حواوسة: مرجع سابق، ص 351.

(4) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 81.

(5) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 228.

(6) - طويل حياة: المرجع السابق، ص 325.

وكان هذا التعليم الفرنسي تعليماً مجانياً ولم تكن المدارس التصيرية تهتم بالبيئة الإفريقية وإنما ركزت على البيئة الأوروبية من أجل ترسيخ قيم الغرب وثقافته⁽¹⁾، وكانت عملية إنشاء المدارس الخاصة بالإناث تحت إشراف ثلاث جمعيات وهم راهبات الثالوثيات في وهران، وجمعية " سانت فنسنت دي بول" في الجزائر العاصمة، وبنات العقيدة المسيحية في قسنطينة، حيث وفي البداية كانت عملية إنشاء المدارس المجانية سريعة جداً إذ أنها افتتحت 33 مدرسة ما بين 1843م و1887م⁽²⁾.

أما في التعليم المهني فقد أدركت الراهبات أهمية التعليم المهني الحرفي مستغلين عدم انتشار هذا النوع بين أوساط النساء الجزائريات، فعملن على تعليم الفتيات فنون التدبير المنزلي وما يحتويه من أشغال كالطبخ والخياطة⁽³⁾ والترقيع واستعمالات الصابون بالإضافة إلى تعليمهن أشغال الصوف والسلال والقفف، وكان الغرض من هذا النوع من التعليم إغراء الآباء لإرسال بناتها إلى تلك المؤسسات الخيرية خاصة بعد رؤية بناتهم يتقنون العديد من الحرف والمهارات اليدوية⁽⁴⁾، وتعددت أهداف الراهبات في استغلال هذا المجال، إذ أنه يضمن لهم تأثير الفتيات على غيرهم من النساء وبالتالي يزداد عدد المنخرطين وتزداد فرص التصير.

أما في ما يخص التعليم الفلاحي فقد اهتمت الأخوات البيض بتقديم دروس في هذا المجال لأن الفلاحة هي المورد الدائم للرزق، وتم التركيز على زراعة الكروم وتربية الحيوانات وأغلبها كانت تقدم في الملاجئ⁽⁵⁾.

(1)- نور الهدى سعدي، دعاء خيزار: جمعية راهبات السيدة الإفريقية ونشاطهم التصيري في الجنوب الجزائري 1869-1954م، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021/2020م، ص81.

(2)- محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق، ص ص143-144.

(3)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1860، ج1، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، (د.ت)، ص158.

(4)- نور الهدى سعدي، دعاء خيزار: مرجع سابق، ص ص82-83.

(5)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص142.

لقد كان المؤرخين الفرنسيون مهتمين بتعليم الجزائريين أمثال "إميلي ماسكاري" الذي كان متحمساً لتعليم الجزائريين وكان هذا التحمس خاص بالبربر فقط وليس كل الجزائريين، وكان متحمساً أيضاً لعمل رجال الدين المسيحيين فقد كتب في تأبينية لصحيفة النقاشات السياسية والأدبية، إثر وفاة "لافيجري"، حيث كتب متحسراً « لقد غادر الجزائر للأبد » وذكر أن البربر إسلامهم سطحي يمكن تنصيرهم أو إعادتهم إلى ديانتهم الأولى غير الإسلام وإضافة إلى ذلك أن فرنسا خسرت رجلاً بذل نفسه في خدمة المسيح وخدمة لفرنسا التي وصفها بأنها أم الديانة الصليبية⁽¹⁾.

والجدير بالذكر أن المدارس التي أنشأها الفرنسيون عدت للأهالي مدارس الكافر وسموها مدارس الشيطان وبأسماء لعينة، فازداد السكان صموداً وتهاافتاً على ثقافتهم العربية الإسلامية⁽²⁾.

ومما سبق يمكن القول أن السلطة الفرنسية اتبعت وسيلة التعليم التصيري كإحدى الوسائل لتحقيق هدفها في الجزائر، حيث قامت بعدة مجهودات في مختلف المدن الجزائرية لنشر الديانة المسيحية وتغليب الجزائريين عن حقيقة دينهم.

2- التطبيب:

ظهرت أهمية العلاج كوسيلة للتبشير في أواخر القرن التاسع عشر⁽³⁾، إلا أن التغطية الطبية للمستعمرات كانت جد ضعيفة⁽⁴⁾. ولهذا فإن التطبيب يعتبر الوسيلة الأكثر شمولاً من الوسائل الأخرى وأبلغ أثراً لأنه موجه للصغار والكبار من المواطنين على حد سواء هذا

(1) - عبد النور غرينة: المجتمع الجزائري في الكتابات الانثروبولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري ابان الفترة 1962/1880م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2017/2018م، ص 112.

(2) - سفيان لوصيف: المراكز الثقافية في منطقة الأوراس 1848-1954 قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي، دورية كان التاريخية، ع15، مارس 2012م، ص ص 33-39.

(3) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 86.

(4) - أوفيهيه لوكور غرانميزون: في نظام الأهالي، ط1، سلسلة المترجمات، منشورات السائح، الجزائر، 2011م، ص 246.

من جهة ومن جهة أخرى له تأثير أكثر في نفوس الأفراد لأن الأمر يتعلق بمعالجة أمراضهم والتخفيف من آلامهم وممارسة التطبيب في العمل التصيري قد لا يرتبط بمكان معين أو بطبيب خاص⁽¹⁾، فمن السهل معرفة مدى سرعة إنشاء المستشفيات لكن من الصعب حصر تطورها بدقة متناهية فالتقارير غالبا ما تكون ذات طابع محلي وجزئية⁽²⁾. ورأت الإدارة الفرنسية أنه بإمكان الطبيب أن يصل إلى جميع طبقات المسلمين عن طريق المرضى الذين يعالجهم، ومن أجل ذلك قامت بإنشاء العديد من المستشفيات في الجزائر، وقام المنصرون بإقناع المرضى بأن المسيح هو من يشفيهم وكانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المريض ويطلب الشفاء منه⁽³⁾. فكان التطبيب وسيلة هامة لديهم فهم يقولون: «حيث تجد بشرا تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، فهناك فرصة مناسبة للتبشير»⁽⁴⁾. وكان التطبيب يمارس في المستشفيات لكونه حجرة تريض ويوفر فرصا مناسبة لنشر بذور الدعوة المسيحية في قلوب المرضى⁽⁵⁾.

والتطبيب هو كذلك الوسيلة التي تجذب الفتيات الجزائريات للعمل في المستشفى ومنه تسعى المنصرات لتتصيرهن فيما بعد، ذلك لأن التطبيب في التصير لا يخص المرضى فقط بل يمس أيضا مساعدي المبشرين من الجزائريين و الجزائريات وهو الوسيلة التي يستدرج فيها المرضى نحو الإهتمام بالديانة المسيحية قبل اعتناقها كليا عندما يبلغ التأثير ذروته⁽⁶⁾. ولهذا استخدمت السلطات الفرنسية الأخوات لمساعدة ورعاية المسلمين في قطاعات الصحة وكان البارون "دولفيارار" أول من قام باستدعاء أخته لمساعدة المرضى

(1)- محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق، ص 86.

(2)- إيفون توران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصب لل نشر، الجزائر، 2007م، ص 84-86.

(3)- وردة معيط: نوال وضاح: المرجع السابق، ص 177.

(4)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 11.

(5)- سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 18.

(6)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 89.

خلال وباء الكوليرا 1835م⁽¹⁾، فقد تعرض الشرق الجزائري لهذا الوباء إذ اجتاح ناحية قسنطينة و ضواحيها، ففي أكتوبر 1837م خلف 1500 ضحية وتواصلت عدوى الوباء في قسنطينة ومع 1867م عاد من جديد وانتشر في كل المناطق سطيف، باتنة، بسكرة... الخ. وظهر كذلك من 1854م الى 1855م⁽²⁾، أخوات مسيحيات من مدينة نانسي إستقرين في قسنطينة وأخوات التثليث في وهران وأخوات القديس "يوسف" استقرن في الجزائر بعد مغادرة قسنطينة وقد اعتبرتن أول من استقرن بها عام 1841م، أما الأخوات الممرضات فتمركزن في المستشفى المدني منذ افتتاحه والذي يوجد به أربع أخوات للقديس "يوسف" منذ البداية شابات وجميلات يضحين بأنفسهم من أجل غيرهم، هن حارسات فضيلات يقطعن البحار من أجل الاسعاف. وكيف يمكن لهؤلاء الفرنسيات أن يعطين خدمات للجزائريين؟⁽³⁾

هنا أدرك البارون "دوفيلالار" أن القوة لا تؤدي إلى نتيجة مثمرة وإنما يجب الاستعانة بوسائل سلمية كفتح مراكز طبية أمام كل مركز عسكري حتى يمكن جذب السكان إليه بواسطة الأعمال الحسنة لخدمة لحضارتنا، فوجه نداء في باريس والذي لقي آذان صاغية من قبل "لويس فيليب" وزوجته "إميلي" اللذان تبرعا بمبلغ 1500 فرنك لفائدة المرضى ورأى أنه لا بد من توظيف راهبات للقيام⁽⁴⁾ بالأعمال الخيرية فاخترت أخته "إميلي دوفيلالار" وعرض فكرته على المجلس البلدي بمدينة الجزائر وكان اقتراحه مقبولا من المجلس، وفي 10 أوت 1835م حلت إميلي بالجزائر مع مجموعة من الراهبات وكان قد انتشر داء الكوليرا وأجبرت للبقاء في المستشفى المدني بالجزائر⁽⁵⁾. وكذلك الأخت "كاليستو بوسكيه" من تولوز كانت

(1) - مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP الروبية، الجزائر، 2014م، ص 47.

(2) - عز الدين زايدي: "الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 07، ع01، جوان 2021م، ص ص 130-169.

(3) - مصطفى خياطي: مرجع سابق، ص 47.

(4) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 45.

(5) - المرجع نفسه، ص 45.

عزيزة عند العرب لتفانيها في العمل⁽¹⁾، وكانت إيميلي مهتمة بنشر رسالتها الإنجيلية في الجزائر مستخدمة في ذلك التطبيب التي لقيت ترحابا من رجال الدين⁽²⁾. وتعددت الأساليب التي طبق فيها المنصرون التطبيب كوسيلة للتنصير رغم أن الغاية واحدة وهو تنصير ما استطاعوا من الشعب الجزائري، حيث يقومون بدعوة المرضى الذين يرتادون المستشفيات للعلاج أو الذين يقيمون فيها بطريقتين هما⁽³⁾.

- طريقة غير مباشرة: كإقامة المنصرات بصلواتهم في قاعات المرضى وتقديم هدايا لمن يبدي إهتماما بالديانة المسيحية.

- طريقة مباشرة وصحيحة: وتتمثل في دعوة المرضى إلى حضور القداس الذي يقام في كنيسة المستشفى صباح كل يوم وترويج الدعاية بينهم مفادها أن الجنة لا تكون إلا من نصيب الذين يعمدون قبل الوفاة، أما بالنسبة للجزائريين الذين يعالجون في ديارهم فإن تنصيرهم يكون بشكل غير مباشر اذ يحاولون أن يوهموا الأهالي بأن ما قاموا به من تقديم للإسعافات والعلاج ناتج عن كونهم مسيحيين وأن العناية الإلهية هي التي أملت عليهم للقيام بهذه المهمة⁽⁴⁾.

وانتقال المنصرين الى منازل المرضى لعلاجهم من أهم الوسائل في العمل التنصيري لأن دائرة احتكاك المنصرين بالمواطنين تتسع أكثر لأن الأمر لا يتعلق بالمريض فقط بل إلى أهله وقد يصل إلى الجيران ولا شك في أن هذا العمل سوف يجلب فضولهم بشكل كبير والمنصرين لا يمكن أن يفوتوا مثل هذه الفرصة دون استغلالها وبالتالي يؤثرون على الكثير من الجزائريين بدلا من التأثير على المريض فقط⁽⁵⁾. كما أن دخول المنصرين إلى بيوت

(1)- مصطفى خياطي: المرجع السابق، ص 47.

(2)- خديجة بقطاش: مرجع سابق، ص 46.

(3)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 89.

(4)- المرجع نفسه، ص 90.

(5)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 89.

المرضى يساعد المبشرين على معرفة أحوالهم المعيشية وبالتالي البحث عن قرائن أخرى تساعد في التخطيط لبلوغ أهدافهم التصيرية سواء أعلق الأمر بالرجل أو بالمرأة⁽¹⁾.

نذكر أن هناك مريض استغلت جروحه فتتصر وسمي "جاك" الأمر الذي جعله محل شتم وسب المسلمين له ولا سيما حينما كانوا يرون الصليب على صدره وحرية التصير وسط المسلمين جعلت الراهبات ومعه من القسيس "بورغاد" يغتمن الظروف الحرجة للمرضى وهم في حالة الاحتضار⁽²⁾. وبسبب هذه الظروف الحرجة اضطرت إيميلي للسفر إلى فرنسا في نوفمبر 1835م. وباعت ما تبقى لها من ممتلكات واتصلت بزوجة "لويس فيليب" وتلقت منها تأييد وعادت ومعها 18 راهبة وعند عودتها للجزائر و حذرت الراهبات من التحدث أمام المرضى المسلمين عن الدين الكاثوليكي وحرصت على أن لا تقوم بعملها التصيري بطريقة مكشوفة حتى لا يتعكر صوف نشاطها التصيري وذلك في قولها: «أنا نعمل أولاً على تحبيب ديننا للسكان وعلى احترامه، اعتقاداً منها أن العمل الخيري يؤثر في قلوبهم ويجعلهم يتقربون من المسيحية»⁽³⁾.

يقول أحد الشيوخ وهو معجب بخدمات منصر فقال له: « بأنه سيكون مرابطاً مسلماً كبيراً لو نطق الشهادة»⁽⁴⁾.

وفي 1861م تواجد الأب "كروزا" أحد الجزويت في حصن نابليون والذي قام بتحويل بيته الى ملجأ لليتامى والمحتاجين وكان يقدم لهم الطعام والدواء واللباس وحتى الاموال في بعض الأحيان⁽⁵⁾.

كان الكاردينال "لافيجري" مهندسا بشركة كبيرة للتصير مست بالكثير من المسلمين ووضع رهبان وراهبات مكلفين بنشر الإنجيلية عند المسلمين والذين كانوا قد بدأوا من القبائل

(1) - المرجع نفسه، ص 88.

(2) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 48.

(3) - المرجع نفسه، ص 46.

(4) - محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق، ص 89.

(5) - محمد سي يوسف: المرجع السابق، ص 205.

ووجدوا في الأطفال هدفهم حيث فرقوهم عن عائلاتهم ووضعوهم في قرى لنشر هدفهم ومنهم: سيدي عيسى، عين الحمام وبعد تنصير هؤلاء الأطفال لم يقبلهم لا المسلمين ولا حتى الأوروبيين أنفسهم، وبعد 1870م وتماشيا مع الحكومة العامة "لافيجري" تم تأسيس أربع مستشفيات للمواطنين منهم مستشفى بسكرة وفي 1893م طلب الحاكم العام "كومبو" من الراهب تأسيس مستشفيات في الأوراس والجنوب وقام بتكوين أطباء مسيحيين من بين الأطفال المستولين من المجاعة بعد المجهودات الجبارة التي قام بها كون خمسة أطباء واحد منهم فقط رجع للعمل في الجزائر⁽¹⁾. إذ يساعد التمريض على التنصير فالمنصر يستطيع أن يجد في غرفة الاستشارة أو حجرة المريض فرصا مناسبة لنشر بذور المسيحية في قلوب المرضى لهذا استغلت الممرضات لأداء مهمة التبشير وكان بالمراحل الآتية:

- إقامة الصلوات أمام المرضى وتكليفهم للمشاركة فيها.
- توزيع الصلبان على بعض العجزة من المرضى وتعليق بعضها في حجراتهم.
- تحيين الفرصة الملائمة للتحدث مع المرضى في الشؤون الدينية على شكل توجيه أخلاقي.

- إرغام أحد المرضى في حالة الاحتضار على قبول التعميد بغير رضاه⁽²⁾.

وتكمن أهمية هذه الوسيلة في كونها أحد دعائم العمل التصيري في الجزائر، لأن بواسطته يمكن للمنصرين تنفيذ كل مخططاتهم دون أن يصطدموا بأي رد فعل من طرف الجزائريين، إذن يمكن القول أن التطبيب هو الوسيلة التي تسمح للاتصال المباشر مع الجزائريين لريح ثقتهم أولا وبعد ذلك العمل على تصحيح أفكارهم المسبقة عنهم، وتغيير نظرته تجاههم بصفة خاصة وتجاه الفرنسيين بصفة عامة وفي النهاية الوصول إلى عقد صلات متينة وعلاقات وطيدة مع أهل البلاد لضمان بقائهم والاستمرار في مهامهم التبشيرية دون عوائق تقف في طريقهم، وهو كذلك الوسيلة التي يحاول بواسطتها المنصرون أن يظهروا كل خصالهم الخلقية الحميدة كالطيبة والرفقة والشفقة والتسامح ومحبة الناس

(1)- مصطفى خياطي: المرجع السابق، ص ص 47-48.

(2)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص54.

والاهتمام بصحتهم كل هذه الصفات لا يمكن للجزائريين أن يتغاضوا عنها دون أن يتأثروا بها⁽¹⁾.

3. الأعمال الخيرية:

يعتبر العمل الخيري في نظر المنصرين أحسن طريقة تستخدم للتصير لأنه وبواسطة الأعمال الخيرية يدخل المنصرين إلى قلوب الناس لتركوا فيها آثار أبدية وحتى يخلقون علاقات طيبة مع السكان الجزائريين، ولقد تنوعت الأعمال الخيرية التي استخدمها المنصرين في الجزائر بحيث يتوجهون في غالب الأحيان نحو المحتاجين والفقراء والمساكين، لأنهم يدركون أن هذه الظروف المرة التي يعيشونها الجزائريين سوف تسهل عليهم الإيقاع بهؤلاء الجزائريين في مخالف هذه الأعمال الخيرية التصيرية.

بعد تخريب الجزائر عامة تأتي عملية إنقاذها بشروط عن طريق الإعانات المادية والمعنوية، التي تقدمها الإرساليات التصيرية، لسكان الجزائر عامة والشرق الجزائري خاصة، مقابل تخليهم عن إسلامهم، إلا أن هذه السياسة وغيرها من السياسات الجهنمية الفرنسية قوبلت بالرفض التام، وأن الفرد الجزائري لا يقبل بأقل من أن يكون إنسانا كامل الحقوق، باستقلاله، دينيا، تاريخيا، ومصيرا وحضارة⁽²⁾. وارتكزت عملية التصير بشكل أساسي على الأعمال الخيرية التي بدورها استغلت الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للسكان بسبب الفقر والظروف المأساوية التي حلت بالجزائر، فالعمل الخيري في نظرهم هو بمثابة السلاح الأول الذي بواسطته يدخل المنصرين إلى قلوب الناس لتركوا فيها آثار والتي تسمح بتقريب السكان الجزائريين إليهم⁽³⁾.

(1)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 88-89.

(2)- الصادق دهاش: المرجع السابق، ص 32.

(3)- إيفون توران: المرجع السابق، ص 92.

انتشر المنصرون في مختلف نواحي القطر الجزائري بغرض التصير مستترين وراء الأعمال الخيرية كتقديم المساعدات لمختلف فئات المجتمع الجزائري وبمختلف طبقاته، إذ وجدوا أن العمل الخيري أحد الوسائل التي تساعدهم للتقرب من الجزائريين وتحقيق هدفهم⁽¹⁾. حيث استغل الكاردينال "لافيجري" تشجيع ودعم "دي قيديون"⁽²⁾ وجمع 1750 طفلا قصد تربيتهم تربية نصرانية⁽³⁾ واستغل كذلك كارثة المجاعة 1867/1868م⁽⁴⁾، التي حلت بالجزائر (الملحق رقم 08) ونتج عنها موت مئات الآلاف من المسلمين مما أدى بهم للزحف من الجنوب نحو مدن الشمال والتي كان بها الكولون وعض تقديم المساعدة للمهاجرين منعوهم من تفتيش المزابل وأكوام القمامة على بقايا الطعام، بل وطلبوا من السلطات ابعدهم عنهم فجمعوهم في محتشدات في مليانة والأصنام وغليزان وأبقتهم للجوع والعطش والحر مما ضاعف من بؤسهم ونفسي الأمراض بينهم وموت المزيد منهم، ولقد اضطر العديد منهم لنهب عن الموتى في قبورهم لأكل لحومهم باعتراف الفرنسيون أنفسهم⁽⁵⁾، ووجدها فرصة مناسبة حتى ينصر الجزائريين فقد استغل حال المرضى والجياع وأنقذهم باسم الصليب، فقد جمع ما يقارب 1800 طفل بين متشردين ومرضى تتراوح أعمارهم بين الثامنة والعاشره وسلمهم لمختلف الملاجئ التي أنشئها قصد معالجتهم وتصيرهم⁽⁶⁾.

(1)- ورود معيطة، وضاح نوفل: المرجع السابق، ص 177.

(2)- دي قيديون: أحد أكابر مجرمي فرنسا في الجزائر حكمها وطغى فيها من 1871 الى 1873م، اجتمع فيه كل الشرور من تعسف اداري بطش عسكري قهر اجتماعي حقد صليبي، منع تدريس القران الكريم، منع الحج ساعد لافيجري على تهريب الأطفال الى ملاجئ التصير للمزيد أنظر: جريدة البصائر، ع12، 14/07 أوت 2000م.

(3)- شاوش حباسي: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830/1962م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س)، ص 32.

(4)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 108.

(5)- صالح عوض: المرجع السابق، ص 178.

(6)- خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 108.

وخلال زمن حدوث المجاعة استقبل الكاردينال "لافيجري" ما يعادل 1,7,50 طفلا تتراوح أعمارهم بين 8 و 10 سنوات وكان حوالي 100 طفل أعمارهم ما بين 10 و 14 سنة⁽¹⁾.

وكان من أهم أسباب هذه المجاعة:

- حدوث الجوائح التي نزلت بالزروع والنباتات وأتلفتها.
- انتشار مرض الهرمة الذي أهلك المواشي عام 1867م من قلة علفها.
- زحف الجراد على القطر الجزائري في أبريل 1867م، وما أحدثه من تلف بالزروع والنباتات والأشجار⁽²⁾.

ولقد ألح الكاردينال "لافيجري" على كون الإحسان والعطف والإخلاص من أنجح السبل لإنجاز الأعمال التي فرضت من قبل بالسيف فخطب الآباء قائلاً: «ساعدوا الفقراء وعالجوا جراحهم وداووا مرضاهم، إنكم بذلك تشرفون عقيدتكم وتخدمون المسيحية ذلك أن طريقتنا لخدمتها والدفاع عنها ليس لجعلها مخيفة مروعة بل لتجعل الآخرين يحبونها». وانطلاقاً من هنا اهتم الآباء البيض بكل صغيرة وكبيرة فلم يتركوا الصغار إلا وأغروهم بالقدوم إلى مدارسهم ولا الكبار إلا واهتموا بأعمالهم، زاروا المريض وعالجوه، تقربوا من الغني وصادقوه، ومن الفقير وأعانوه، اعتنوا باليتامى واللقطاء وأعالوهم، دخلوا بيوت الجزائريين وحدثوا نساءهم زاروا المقابر وشاركوا في جنازات الجزائريين⁽³⁾.

ولكي تستمر مساعي الكاردينال "لافيجري" الخيرية سافر إلى فرنسا طالباً للمال والتأييد لعملية التصيرية وكذلك بعث برسالة إلى رجال الدين بفرنسا للحصول على المساعدات

(1)- شارل روبيير أجبرون: المجتمع الجزائري في مخبر الأيديولوجية الكولونيالية مقاومة القبائل للإدماج والتفكيك وفشل مشاريع التصير والتجنيس، تر، تق، تع: محمد العربي ولد خليفة، ط2، منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2013م، ص98.

(2)- صالح العنتري: مجاعات قسنطينة، تح: تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص17.

(3)- سعدي مزيان: المرجع السابق، ص ص222-223.

والتبرعات من أساقفة بلجيكا وإسبانيا وإنجلترا ويعرفهم بنكبة الجزائر (الملحق رقم 09). ولقد استمال بعض العسكريين وكسب ود بعض المعمرين وحصل على تبرعات منهم وكانت هذه التبرعات تنشر في صدى "السيدة الإفريقية" (الملحق رقم 10)، التي أسسها الكاردينال "لافيجري" وكانت ذات أغراض تصيرية. حيث جند فرق دينية من الرهبان والراهبات لمعالجة الأطفال المصابين بالأوبئة كالكوليرا والتيفوس والجدري⁽¹⁾.

إضافة إلى سعي الآباء البيض أو المنصرين الفرنسيين إلى تأسيس أسر مسيحية من أصل جزائري هذا بمساعدة الشباب المنتصرين المقبلين على الزواج وتلبية كل ما يحتاجونه كما كون ملاجئ في بوفاريك و عنابة ومسرغين وغيرها، وقد تبنى في أبريل 1868م من الأطفال اليتامى⁽²⁾.

وكذلك تقديم الهدايا والمساعدات المالية للجزائريين كتقديم الملابس لليتامى والفقراء وتوزيع الهدايا كفساتين للنساء وقمصان للبنات خاصة في مناسباتهم الدينية وأعياد الميلاد⁽³⁾

III. النشاط التصيري بالشرق الجزائري:

كانت الحملة الفرنسية على الجزائر حملة غربية صليبية بقيادة فرنسا شعارها: "إضاءة أرض الجزائر بالإنجيل لينبعث من هناك إلى أرجاء إفريقيا"⁽⁴⁾. فسقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها، ففي يوم: 11 جويلية 1830م أقام المرافقون للحملة الفرنسية على الجزائر إحتفالا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقصة، حضره الجنرالات والضباط والجنود يتقدمهم دي برمون طبعاً. وقد رتلوا آيات من الإنجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن الكريم التي أصبحت مية وكانت تغطي كل الجدران⁽⁵⁾. ومن أجل إنجاح هذه

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص ص108 - 110.

(2) - ورود معيط، نوفل وضاح: المرجع السابق، ص177.

(3) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص93.

(4) - صالح عوض: المرجع السابق، ص 17.

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ال جزائرية 1820، 1900م، ج1، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م، ص

الحملة جندت الكنسية الكاثوليكية آلاف المتطوعين لهذا الواجب المقدس، واجب التحريض والتعبئة الدينية ضد (الكفار، المسلمين، أعداء الدين والإنسانية) واندفعت جحافل المنصرين والآباء البيض التي كانت مرافقة للحملة خطوة بخطوة منذ أول يوم لها⁽¹⁾، ففي السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي كانت سياسة التصير قليلة بسبب استمرار المقاومات الشعبية التي كانت قائمة على البعد الديني، فلم يتمكنوا من تحقيق هدفهم التصيري خلال السنوات الأولى من الاحتلال لكن مع بداية التوسع الفرنسي بدأ رجال الدين بتتصيرهم للسكان⁽²⁾. وأهم ما ميز الحركة التصيرية في الجزائر هو التحالف بين قادة الغزو وجنود الاحتلال والجمعيات التصيرية منذ اللحظات الأولى للغزو⁽³⁾.

صرح "دي برمون" للقساوسة سنة 1830م أن آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح أما العرب فلن يكونوا إلا رعايا⁽⁴⁾. وانطلاقاً من هنا اعتبر "لافيجري" الإسلام دين تعصب ووحشية واعتبر معتقبيه عبيد للذات والشهوات وذلك في خطاب تنصيه أسقفا للجزائر عام 1867م والذي قال فيه: «ما هو تاريخ إفريقيا الشمالية؟ إسألوا عنه الآثار التي تملأ أراضيهم تجدونه آثار ثلاث دول وأجناس وهي بقايا حضارات ماجدة مختلفة»، وأجاب عن سؤاله بنفسه وهو يقول: «أما نحن المسيحيين فإن التاريخ الذي يهمننا من إفريقيا هو تاريخ الكنيسة الإفريقية ذات السبعمئة قسيس وكنائسهم المنتشرة طول البلاد وعرضها...»⁽⁵⁾. وبعد مجيء "لافيجري" بدأ التصير يأخذ بعداً خطيراً ذو الطابع الإستيطاني والعسكري، إضافة إلى طابعه الديني

(1)- صالح عوض: المرجع السابق، ص 66.

(2)- صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1925/1830م، مجموعة مطبوعات الحقوق والأدب والعلوم الاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945م قالم، مديرية النشر لجامعة قالم، 2010م، ص 19.

(3)- محمود بوكسيبة: التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة 1870/1954م، دار الإرشاد، قسنطينة، 2015م، ص 54.

(4)- المرجع مرجع فسه، ص 54.

(5)- عبد القادر خليفي: "سياسة التصير في الجزائر"، مجلة المصادر، ع 09، جامعة وهران، ص 12.

والاستعماري فقد أنشأ "لافيجري" ما بين 1867 و 1888م كنيسة واحدة، كما أنشأ فرقة الآباء البيض والأخوات البيض، تتلخص مهامهم في التصير والعلاج والتعليم⁽¹⁾ مستغلين في ذلك الأوضاع المزرية التي يعيشها السكان الجزائريين والكوارث الطبيعية كمجاعة 1867م⁽²⁾، فهناك من سماها مجاعة والآخر مسغبة وهناك من أطلق عليها إسم قحطا⁽³⁾، حيث كان السكان يموتون كل يوم حتى الآباء يلتهمون أطفالهم، يتجول الأيتام بالعشرات على الطرق يموتون جوعاً ويقتل الطاعون خمس سكان العرب، ويعتبر الجراد من أهم أسباب هذه الجائحة⁽⁴⁾ فنجد أنه مس عمالة قسنطينة من كل النواحي وأتلف ما يقارب الثلاثمائة قنطار من المحاصيل⁽⁵⁾،

وحسب التقارير الفرنسية فإن الجراد قد أدى إلى هلاك 3000.000 جزائري لكن العدد الحقيقي فهو 500.000 أي بالخمس تقريبا من عدد السكان⁽⁶⁾، مما أدى إلى حدوث تسمم في الآبار ومجاري المياه وأصيب جل السكان بالتسمم ما أسهم في تقوية الكوليرا والتيفوس بشكل مخيف⁽⁷⁾. ولم تنتهي كارثة الجراد حتى عم الجفاف الذي أثر كثيرا على الفلاحين وتبع هذا الجفاف أمطار غزيرة وثلوج قوية أتلفت المحاصيل الزراعية وقتلت المواشي والأغنام⁽⁸⁾، إضافة إلى السياسة الإستعمارية المتمثلة في الإستيلاء على الأراضي

(1)- محمود بوكسيبة: المرجع السابق، ص 56.

(2)- بوضرسية بوعزة: سياسية فرنسا البربرية في الجزائر 1930/1830م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، (د.س)، ص 145.

(3)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1900/1860، ج1، المرجع السابق، ص 15.

(4)- عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1900/1830، المرجع السابق، ص 104.

(5)- جريدة الميشر: ع 17، 1848/05/15.

(6)- عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م (الجزائر خاصة)، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص318.

(7)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1820م، ج1، المرجع السابق، ص 152.

(8)- جريدة الميشر: ع 01، 1847/09/15.

وإجبارهم على بيعها للمستوطنين⁽¹⁾، وظهر ما سمي بسياسة الأرض المحروقة⁽²⁾ وانتشار كذلك مرض الجدري الذي يفسد الوجه ويعدم البصر ويصيب الأذن بالصم⁽³⁾. هنا بدأ "لافيجري" بجمع اليتامى وفي بضع أسابيع بلغ عددهم 1200، وذهب لفرنسا لطلب الصدقة المسيحية كما فعل في لبنان فاستجابت له فرنسا ولكنه لم يستطع إنقاذ كل هؤلاء الأطفال لهذا أودعهم إلى الإخوة في مدارس إتيان وإلى راهباته لإرشادهم وتوعيتهم وتعليمهم⁽⁴⁾، وقد منح البرلمان ما بين سنتي 1869 و 1874م مبلغ 545.000 فرنكا للكاردينال "لافيجري" وباسم اليتامى تلقى 275.000 فرنكا سنة 1869م وتعد هذه الدراهم مصاريف تكفل "لافيجري" باليتامى والفقراء والمحتاجين⁽⁵⁾.

1. النشاط التنصيري في مدينة قسنطينة:

قامت الإدارة الفرنسية بتهديم الزوايا كزاوية القشاش وزاوية سيدي الجودي التي بيعت لأحد الأوروبيين وزاوية الشرفة وزاوية شحتون التي حولت الى مستشفى عسكري⁽⁶⁾ وقامت كذلك بإنشاء مستشفى عام 1839م، وقام الدكتور "بوزان" بمبادرة تمثلت في فتح مركز إسعاف أو مأوى للأهالي وكانت الأخوات البيض تعملن به والتي أغلبهن من مدينة نانسي، وقد لعبت الأخت "كاليكست" دوراً كبيراً في مدينة قسنطينة عند مرافقتها للطبيب "دلو" وإتقانها للغة العربية لجعلها تتوسط للطبيب وسط الأهالي، ووضعت العديد من الملاجئ تحت تصرف⁽⁷⁾ الأخوات المسيحيات اللواتي عملن على رعاية وإيواء الأطفال اليتامى والمتشردين

(1) - مساعد أسامة، مصاحب منعم: "الأوضاع الاقتصادية العامة للجزائر في ظل الادارة الفرنسية 1830/1962م ومحاولات البحث عن النفط قبل الاستقلال"، مجلة بابل لدراسات الإنسانية، مج 04، ع 03، ص 233.

(2) - عمار عمورة: المرجع السابق، ص 318.

(3) - جريدة المشرق: ع 06، 30 / 11 / 1847.

(4) - Marie André: Ibid, pp 21- 46.

(5) - شارل روبيير اجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، ص 556.

(6) - خيثر عبد النور: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830/1954م)، المطبعة الرسمية البساتين، منشورات منشورات (م. و. د. ب. ح. و. ث. أن)، وزارة المجاهدين، 2008م، ص 73.

(7) - زايدي عز الدين: المرجع السابق، ص 167- 168.

إلى غاية وصولهم سن الرابعة، حيث تم توجيههم إلى ملجأ "مصطفى" ليتم التكفل بهم، فنجد أن في مقاطعة قسنطينة كان ملجأ في غابة ضم 94 بنتا وكذلك ملجأ لمقاطعة قسنطينة في سوق أهراس ضم 18 طفلاً⁽¹⁾.

استهدفت المنصرات المسيحيات المرأة الجزائرية باعتبارها في نظرها مدار الحياة الاجتماعية والوصول إليها له تأثير كبير على الأسرة كلها ومن أجل ذلك تم تكوين معلمات منصرات في الجزائر بهدف تنصير المرأة الجزائرية، فإذا تنصرت المرأة الجزائرية تنصروا أبنائها تبعاً لها واقتداء بها⁽²⁾، فكانت "ماريوجيجا"⁽³⁾ (Merie Bugéja)، تكتب مقالات في الجرائد والمجلات وتلقى المحاضرات داعية النساء المسلمات للتخلص من قيمها واتباع الرذيلة والابتعاد⁽⁴⁾.

عن الفضيلة وقد أشرفت على مؤتمر "نساء البحر المتوسط" بقسنطينة المنعقد في 31/29 مارس 1932م، بمدينة قسنطينة محاولة من خلاله إخراج المرأة المسلمة من محيطها الإسلامي إلى إنحلالها في العالم المسيحي الأوروبي⁽⁵⁾.

وعمل الاحتلال الفرنسي على بناء العديد من المؤسسات التعليمية الثقافية في قسنطينة أهمها "المدرسة البلدية" (Collège Communal)، والمعهد الموسيقي وثانوية الذكور والإناث ومدرسة للثقافة العربية، وعدد كبير من المدارس التابعة للمنظمات الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية... كما تم بناء المعهد اليهودي في حارة اليهود وسط المدينة القديمة

(1)-المرجع نفسه، ص 168.

(2)- علي غنابزية، يمينة دهالسي: "تأثيرات المرأة الأوربية على الأسرة الجزائرية (1830-1962م) -دراسة تاريخية اجتماعية"، مجلة الدررات والبحوث الاجتماعية، ع22، جوان 2017م، ص 80.

(3)- ماري بوجيجا: إمراة فرنسية لها ولاء للفرنسيين ذات وفاء للدين النصراني تتفانى في خدمة وطنها كرسست قرابة خمسين سنة من عمرها لإفساد المرأة الجزائرية مستعملة في ذلك أخبث الوسائل ساعدها زوجها ايمانويل بوجيجا أحد رجال الإدارة الفرنسية لها كتاب بعنوان " أخواتنا المسلمات " ... للمزيد ينظر: محمد الهادي الحسني: المرجع السابق، ص 246.

(4)- المرجع نفسه، ص 246.

(5)- نفسه، ص 246.

وتحويل قصر الباي إلى كنيسة (الملحق رقم 11)⁽¹⁾. وفتحت كذلك مدرسة تعنى بتعليم الفتيات سنة 1851م بقسنطينة من قبل السيدة "إغيري" التي استبدلت بعد مدة قليلة بالسيدة "بارن" هذه المدرسة التي تلقت مساعدات كثيرة من طرف "السيدة أليكس" وكانت تلك المؤسسة تمول بفضلها لمدة خمس سنوات، كما قامت بتقديم إحدى تلميذاتها الجزائريات لمساعدة السيدة "إغيري" المدرسة المعنية بدورها تعمل لتحقيق نفس الأهداف⁽²⁾، كما لا يمكننا نكران الدور الذي لعبته زوجات بعض القادة العسكريين في العمل على إستمرارية نشاط مدارس تعليم الفتيات والنساء فنجد في هذا المجال زوجة اللواء "راندون" الحاكم العام في الجزائر التي ذلت بدورها كل الصعاب التي واجهت أليكس ومحاولة غلق مدرستها من قبل مدير المعهد الديني و"السيدة زوييفال"، هذه الأخيرة التي أوضحت بعض أهداف "أليكس لوس" حول فتحها مدارس للبنات من خلال أسئلتها التي وجهتها لها أثناء محاولتها غلق ورشتها⁽³⁾.

2. النشاط التصيري في منطقة الأوراس:

يقول "لويس رين": «لم نستطع القضاء على شدة ورع المسلمين الجزائريين وتمسكهم بدينهم الإسلامي... ولا شيء لدينا نستعمله، مثل الأئمة في الأرياف، والمرابطين المحليين وحتى الإخوان... يجب مراقبة هؤلاء واستدراجهم تدريجيا لتحويل المجتمع الجزائري المسلم»⁽⁴⁾. ولقد عملت الإدارة الاستعمارية على تفكيك المجتمع الأوراسي وذلك باستعمال النفي والتجهيل وإضرام نار الفتنة بين القبائل ومن أخطرها تقسيم السكان الأصليين إلى البربر وغزاة دخلاء يزعمهم العرب وبث التفرقة بينهم⁽⁵⁾.

(1) - عبد العزيز راس مال: المرجع السابق، ص 188.

(2) - علي غنابزية، يمينة دهالسي: المرجع السابق، ص 149.

(3) - إيفون توران: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدراس والممارسات الطبية والدين 1880/1830م، تر:

اوزغلة محمد عبد الكريم، دار القصة- الجزائر، 2005م، ص ص 275-276.

(4) - Rinn Louis: Morabouts et Khouans, édition Jourdon, 1884, pp 519-520.

(5) - بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 157.

كان سكان الأوراس يعيشون كغيرهم من البربر حياة بسيطة جداً يرتادون ملابس في غاية البساطة، مما أدى إلى تعرضهم للعديد من الأمراض بسبب ملابسهم الرثة وغذائهم الهزيل⁽¹⁾. ومن المحاولات البارزة للتصير في الأوراس هي جماعة من الآباء البيض التي نزلت بمنطقة أريس وتمركزوا فيها وشيدوا مقرا يحتوي على مسكن وكنيسة وقسم للتعليم ثم استولت على ضيعات بمناطق المدينة سنة 1879م بعد ثورة "إبنجار الله"⁽²⁾، ثم إنشائهم فرعا بالمنطقة ويعرف إلى حد الآن باسم ضيعة الماربو إذ أنهم لم ينجحوا في مهمتهم واضطروا للانسحاب من المنطقة عام 1918م⁽³⁾، بعد الهجومات التي كان يقوم بها "مسعود بن زلماط" و"بومصران" وتم بيع هذه الضيعة بالمزاد العلني في 1928م⁽⁴⁾.

كما تم بناء مستشفى "القديس أوغسطين" (Saint Augustin) في أريس "Arris" والتي تقع بقلب الأوراس⁽⁵⁾، مكون من عشر أخوات وممرض من الأهالي والذي قصده حوالي 600 مريض منذ السنة الأولى من إفتتاحه⁽⁶⁾، كذلك بني مستشفى آخر عام 1895م وأسند الى الآباء البيض إلا أن الاقبال عليه لم يكن كبيرا من طرف سكان الشرق الجزائري عامة وسكان الأوراس خاصة بحيث تمت مصادرتة سنة 1915م من طرف الإدارة الكولونيالية من أجل إسكان المتصرف الإداري وقوات الدعم التي أرسلت لتعزيز القوة

(1) - عبد النور غرينة: الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية (1840/1939م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، 2009-2010م، ص36.

(2) - اسماعيل خنفوق: دور الطرق الصوفية في منطقة الاوراس 1844/1931م، مذكرة ماجستير، تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر تخصص تاريخ الأوراس، كلية الادب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010/2011م، ص 109.

(3) - سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص39-33.

(4) - اسماعيل خنفوق: المرجع نفسه، ص109.

(5) - يمينة مجاهد: تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830/1962م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، 2017/2018م، ص113.

(6) - عبد النور غرينة: المرجع السابق، ص37.

العسكرية من أجل دحر حركات المقاومة الشعبية والتي كانت تظهر من حين لآخر⁽¹⁾، ولم تسعى الإدارة الفرنسية إلى تكليف التعليم الفرنسي في هذه المنطقة ونقصد بها الأوراس فضلا عن ضعف تواجد الآباء البيض بها ومعاداة السكان لنشاطهم⁽²⁾ ولهذا انسحب الآباء البيض من الأوراس سنة 1918م بعد بيع ضيعتهم في المزاد العلني 1928م هكذا تبدو شدة المقاومة التي أبدتها الأوراسيون في الفترة الأولى التي هي حسب الباحثة "تيران" تزعمتها الزوايا والطرق الدينية التي لعبت دورا أساسيا في المعركة من خلال حشد الجزائريين حولها وساهمت في تعليمهم وتنقيفهم وتألبيهم ضد المدارس الفرنسية لكي يرفضوا ارتيادها فلما حاول الفرنسيون إيجاد إجابة عن عوامل عزوف أبناء الأهالي دخول مدارسهم قالوا: «أن المدرسين المكلفين بتعليم الأطفال كانوا متعصبين وجهلة عندهم كانت تظهر معارضة لوجهات نظرنا ... وتكمن خطورة مقاومتهم لنا في أنهم يشرفون على تربية جيل جديد ، ومن هنا يجب أن يخضع كل المدرسين لمراقبة شديدة»⁽³⁾.

1: النشاط التنصيري في مدينة بسكرة:

كان الكاردينال "لافيجري" يزور أحياء بسكرة القديمة راكباً عربة صغيرة تجرها الخيول تحت حراسة عساكر الخيالة الفرنسية وفي طريقه كان يوزع القطع النقدية ويرميها من فوق العربة نحو الفقراء مستغلا المجاعة التي حلت بسكان بسكرة عام 1889م، فعمل على توزيع مبلغ 600 فرنك على 3000 من الأهالي من مجموع سكان بسكرة المقدرة بـ 10 آلاف⁽⁴⁾. وما إن حلت سنة 1891م حتى أسس "لافيجري" فرقة "إخوان الصحراء المسلحة"،

(1)- يمينة مجاهد: المرجع السابق، ص 113.

(2)- ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر النخب، الهوية، اللغة- دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (د.س)، ص 84.

(3)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص 29-33.

(4)- سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 190.

في منطقة لمصلي ببسكرة⁽¹⁾ مدعمة بمستشفى نصفه عبارة عن ثكنة⁽²⁾، وكان في ظاهرها محاربة العبيد في إفريقيا لكن وراء هذه الجمعية حماية المنصرين والحفاظ على حركة التنصير خاصة بعد قيام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين الذي أساؤوا للدين الإسلامي واستفزوه في عقيدتهم أمثال الأب " بلومي"، "مينوري"، "بوشو" والهدف الآخر من إنشاء هذه الجمعية هو إستكشاف منطقة الصحراء وتسهيل وصول العسكريين لبسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء⁽³⁾، وللمنصرين في مدينة بسكرة مدرستان الأولى توجد في ظاهرة المدينة قرب محطة القطار، وتعد مدرسة تقنية تحتوي على فروع مهنية عدد تلاميذها مائة وستة جزائري وثلاثة فرنسيين بها مكتبة تحتوي على آلاف الكتب باللغة الفرنسية والعربية، وصحف وجرائد ومجلات اليومية وكذلك الأسبوعية، كما لها قاعة سينما بجوار نادي المعلمين الأجانب⁽⁴⁾.

أما في طولقة توجد بها مدرسة قدر عدد تلاميذها نحو ثلاثة وعشرين تلميذا وهي ملحقة بمدينة بسكرة تحت إدارة القس "قانيون"، أما عن منطقة أولاد جلال فكان الآباء البيض لا يذهبون إلا في الصيف⁽⁵⁾، وقد ذكر "عبد القادر قوبع" أن عدد الآباء والأخوات البيض في مراكز الصحراء هو سبع وعشرون أبا وأربعة وأربعين أختا ومعهم خمسة وخمسين منصرا جديدا وواحد وخمسين أهليا في طريق التنصير⁽⁶⁾. وقد أرسل الكاردينال "لافيجري" الأب "ديجري" والأب "شارميتانت" اللذان كانا في مقدمة البعثة للتنصير في منطقة بسكرة ودعاهم إلى الإعتماد على كرمهم وقدرتهم لتنصير أكبر عدد من الأهالي، ووصل الأب

(1)- المرجع نفسه، ص 110.

(2)-محمود بوكسية: المرجع السابق، ص 25.

(3)- حميد قريظلي: أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر 1892/1830م، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، (د.س)، ص 334.

(4)- دعاء خيزار، نور الهدى سعدي: المرجع السابق، ص 31.

(5)- المرجع نفسه، ص 32.

(6)- عبد القادر قوبع: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920/1954م، دار طليطلة، الجزائر، الجزائر، 2013، ص 139.

"شارميتانت" إلى بسكرة في بداية شهر مارس 1873م مع صديقين آخرين الأب "ريتشارد" والأخ "لوران"⁽¹⁾.

وفي 1895م افتتح مستشفى في منطقة الزيبان أطلق عليه إسم مستشفى "لافيجري" كان تسييره وإشرافه لرئيسة تدعى الكابارنة أو العريفة تعمل تحت إمرتها مجموعة من الراهبات. أطلق سكان المنطقة تسمية "سبيطار لاسورات" نظرا لأن كل من فيه من الأخوات وكانت أول مديرة فيه تسمى "زابيي ماريا" (Zebee Maria) و أول طبيب رئيس "ديكمار غيوم" (Dikmar Geumm)، وكان المستشفى يحتوي على أربعون من الأخوات البيض شبه طبيبات ومن بعض أسماء العاملات في المستشفى منذ 1895/1962م: "ما قوفيرجيني" (Magu virginie) "فاير جرمان" (faberGermain) فان "بوفلن ماري كرسطين" (Van Bovien Marie Christine) "سبيلوش ماريا" (Spilioch Mari) "برات إيفون" (Prait Yvonne) "نيل فكتورين" (Neil Victorine) وغيرهن من الأخوات⁽²⁾.

كما تم إنشاء مدرسة التمهيدي في الخياطة والنسيج والأشغال المنزلية بين عامي 1925/1920م، أسستها الأم الرئيسية "ماري تيريز" والتي شهد إقبال كبير من نساء المنطقة عليها، وفي 1953م أنشأ مجتمع أخوات البيض "مدرسة ريت بيت" في محل كان تابع لكنيسة وكذلك مدرسة راهبات المحبة في منزل الكاردينال "لافيجري" قبل أن يصبح "فندق الزيبان". ومن بين الأخوات التي اشتغلن في هذه المراكز: "كريستوفر" (Ckristopher) "مرسلين" (Marslin) "ألبينا" (Alpina) وعن المترجمات في المركز نذكر: "بوزيدي خديجة"، "صايبه بنت موسى"، "دبابش"، "قرفيط بن عمارة"، "بن قانة"، "بن ناصر عيساوي".... الخ⁽³⁾.

(1) -Jean-cloude,M,Afr: Cardinal Lavigerie Anthologie de textes volume (1857/1874),

Société des missionnaires Dâfrique,seriè historique n:16, Rome,2016, p:89.

(2) -دعاء خيزار، نور الهدى سعدي: المرجع السابق، ص ص 73 - 74.

(3) -دعاء خيزار: المرجع السابق، ص 74.

تمهيد:

بالرغم من كل المحاولات التي استعملها المستعمر وكل الوسائل التي استغلها الآباء البيض والأخوات البيض لنشر المسيحية بما في ذلك سياسية الترهيب والترغيب، إلا أن مساعيه وأهدافه لاقت في غالب الأحيان الفشل بسبب موجة المقاومة التي انتهجها الشعب في الجزائر بصفة عامة وفي الشرق الجزائري بصفة خاصة، وتتنوع آليات ووسائل المقاومة بين التكوين الديني الإسلامي والمظاهرات وكذا توظيف المؤسسات كالمساجد، الزوايا، المدارس، الكتاتيب القرآنية، النوادي، والجرائد... الخ، وذلك من أجل توعية المجتمعات بالخطر النصراني والدعوة للحفاظ على الانتماء العربي الإسلامي والتشبث به أمام موجة التنصير.

1. السياسية التنصيرية بين الفشل والنجاح:

رغم كل الجهود التي بذلها الكاردينال "لافيجري" خلال فترة نشاطه بالجزائر وبالرغم من تمكنه استغلال السكان وجعلهم يقبلون على التعليم والمعالجة إلا أنه لم يستطع كسبهم دينياً وبشكل جماعي⁽¹⁾، وبالصورة التي كان يتوقعها من قبل بالرغم من الصبر والتفاني في أساليب الإغراء فإن المحاولات التنصيرية لم تكن لها نتائج، وهذا راجع إلى المواجهة الجزائرية لنشاطه وكذا الصمود الفعلي لمختلف الجهات ضد التنصير وانتشار الزوايا رغم قضاء المستعمر على العديد منها⁽²⁾.

ولقد اعترف الكاردينال "لافيجري" بنفسه عن فشله وعبر عن مرارة خيبته لعمله التنصيري وللنتيجة المؤلمة التي آل إليها بعد جهاد طويل، ولم يغادر الحياة حتى شاهد بنفسه أعماله تتلاشى ذلك أن أكثر المنتصرين نبذوا دينه وعادوا إلى الإسلام⁽³⁾.

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 161.

(2) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص ص 375 - 376.

(3) - العسلي بسام: محمد المقراني وثورة 1871م، دار النفائس، الجزائر، 2010، ص 240.

لهذا سعى الكاردينال "لافيجري" في اختلاق قصص خيالية ليثبت أن لنشاطه التصويري نتائج كقصة "شارل عمر بن سعيد" والتي كتب عنها العديد من المؤرخين أمثال الراهب "بونارد" (Bounard) والتي أوردتها في كتابه عن حياة الكاردينال "لافيجري" المعنون بـ: (Le Cardinal Lavigerie) في جزئه الأول، وتتلخص هذه القصة في أن هناك طفل مسلم يدعي "عمر بن سعيد" ذو العشر سنوات من عمره، قدم لدار الأيتام التي أنشأها "لافيجري" متبعا نصيحة أمه التي لم تعد تملك شيئا لإطعامه، وكان له رعب من المسلمين الذين قيل عنهم أنهم يخطفون الأطفال و يأكلونهم، ولم يكن يتناول من الطعام سوى الحشائش البرية ولجأ إلى شيوخ الزوايا المسلمين إلا أنهم طردوه بل وأطلقوا كلابهم عليه كما تزعم الأسطورة، وفي الأخير لجأ إلى التصوير فتم تعميده وأطلق عليه إسم "شارل عمر بن سعيد" وبقي في دار الأيتام وتم تزويجه من فتاة مسيحية و فضل حياته الجديدة على العودة لأمه و أن "لافيجري" بمثابة أبا له وأفضل من والديه⁽¹⁾.

كما لا يفوتنا تسجيل بعض جوانب النجاح في النشاط التصويري للكاردينال "لافيجري" رغم إفلاسه النسبي وانحرافات رواه فإنه استطاع من:

- التمكن من النفاذ إلى الوسط الجزائري.
- تكوين أسر مسيحية من السكان الجزائريين أنفسهم.
- إنشاء العديد من المراكز التصويرية في الجزائر.
- استمالة المرأة والتأثير فيها⁽²⁾.

كانا اللغة العربية والدين الإسلامي مستهدفين من طرف الاستعمار الفرنسي فنجم عن التصوير أضرار بالغة أثرت في الأجيال المتعاقبة وفي البنى الثقافية وأنماط

(1)- ممدوح حسين: مدخل الى تاريخ حركة التصوير، ط1، دار عمار، الأردن، 1995م، ص ص 88-89.

(2)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص222.

الحياة الاجتماعية، فبالنسبة للغة العربية أرادت السلطات الاستعمارية التخلص منها ومن مؤسساتها التعليمية وعمدت على تشويه وتحطيم اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولسان الأمة العربية والإسلامية، فنجم عن هذا إضعاف اللغة العربية على حساب اللغة الفرنسية وبعض اللهجات المحلية واللغة الدارجة⁽¹⁾، كما أصبحت بعض الأسماء دخيلة على المجتمع الجزائري فقاموا باستبدال الأسماء العربية الإسلامية بأسماء فرنسية مسيحية تتنافى والمجتمع الجزائري الإسلامي⁽²⁾.

أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد تم تشويهه من خلال تحكم فرنسا في تعيين رجال الدين الذين يبدون ولاء وإخلاص لها من رجال الطرق والأئمة والخطباء والمفتيين والمدرسين و خلفت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر عدة آثار وانعكاسات أصبحت تؤثر في الطبيعة البنيوية للمجتمع الجزائري بما يتضمنه من مكونات ثقافية فأصبح يلاحظ ظهور أنماط وأشكال وسلوكيات غريبة عن مجتمعنا لم يكن لها وجود من قبل فظهرت عدة أنماط وسلوكيات استهلاكية غريبة عن ثقافة المجتمع الجزائري خصوصاً في المناطق الحضرية لتأثيراتها بالقيم الثقافية الفرنسية واحتكاكها المباشر بالمستعمر⁽³⁾.

كما فسح التصير المجال للعناصر الدخيلة على الإسلام أي الأوروبيين خاصة النساء منهم العيش في الوسط الإسلامي و الذي نتج عنه الزواج المختلط سواء أكان

(1) - وادي أحمد: السياسية الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر، ع 02، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة ال جزائر 03، أفريل 2018م، ص 301.

(2) - Karima Direche-Slimani : Chrétien de Kabylie (1873/1954), une action missionnaire dans l'Agerie colonial , ouvrage publié avec le concours du centre National du levier et de L'anstit de Recherches de d'études sur le monde Arabe et Musliman (IREMAN) , bouchene , 2004, p:114.

(3) - أحمد وادي: المرجع السابق، ص 301.

من مرأة جزائرية مسلمة ورجل أوروبي مسيحي أو العكس⁽¹⁾، هذا مثلما حدث للزعيم "مصالي الحاج" وزوجته الفرنسية "جانيت"، التي كان لها الفضل في خياطة وتزيين الراية الوطنية الأولى مع النساء الجزائريات، وكذلك المفكر الجزائري "مالك بن نبي" الذي تزوج شابة فرنسية تدعى "كريستين بول فيلبون" وعقد قرانه معها بعد أن أسلمت وسماها خديجة وأصبحت ترتدي الملاءة القسنطينية السوداء⁽²⁾.

وتخلي معظم المجموعات السكانية عن بعض عاداتها وتقاليدها وموروثها الثقافي، كتخليهم عن بعض العادات المتعلقة بسلوكيات ومفاهيم متعلقة بالكرم والجود والإحتفال بالضيف وإكرام المحتاج وإعانتته مثل ما يتعلق بإقامة الولائم والإحتفالات وطريقة اللباس في المناسبات والأعياد، كذلك برزت الأمية والجهل، فكان انتشار الدارجة ومع تأثرها بحالة التدهور أدت إلى إفساد اللغات الشعبية التي تعتبر رصيد ثقافي للمجموعات السكانية في الجزائر⁽³⁾، مما قابله إنشاء فئة جديدة من الطلبة المنتصرين فبعدما كان الدخول في المسيحية والارتداد عن الدين الإسلامي مدعاة للخجل والحياة أصبح هؤلاء الطلبة يعلنون تنصرهم ولا يخافون في ذلك لومة لائم، بل وأصبحوا يطالبون بحقوقهم كالطلبة نصرانيين⁽⁴⁾.

ودون شك أن نشاطات المرأة الأوروبية تركت آثاراً في سلوك وأخلاق المرأة الجزائرية، فنجحت السياسة الفرنسية في كسر طوق المجتمع المحافظ، والتأثير على المرأة الجزائرية وذلك بإخراج المرأة الجزائرية الى ساحة النشاط والعمل، واختلطت بالرجال في المدارس والمصانع، وربما بشكل سافر (دون حجاب) وشوهد في حفل توزيع الجوائز في مدرسة الجزائر العربية الفرنسية عام 1854م، بحضور السيدة "

(1) -Karima Direche-Slimani : Chrétiens de Kabylie (1873/1954) , l'p q , p 105

(2) - علي غنابزية، يمينة دهالسي: المرجع السابق، ص 158.

(3) - أحمد وادي: المرجع السابق، ص 304.

(4) - حواوسة جمال: المرجع السابق، ص 362.

أليكس " على قول الفرنسيين أن الفتيات ظهرن غير متحجبات خلال الحفل، وأدارت اثنتان منهما حواراً معناه أن فرنسا هي الدولة الحامية للجزائر، وليس هذا غريباً فقد نشر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته، صورة لمعلمات مدرسة عائشة أم المؤمنين بتلمسان، يتوسطهن الشيخ "محمد البشير الابراهيمي" وخلفهن مدير المدرسة، وهن في لباس حديث ودون حجاب وفي مدارس إصلاحية (1).

كما كان للسياسة التنصيرية أن ظهر ما يسمى بغلاة البربرية الذين كانوا مستهدفين بالدرجة الأولى في شخصيتهم وثقافتهم من قبل المستعمر من خلال زرع أساطير تاريخية باطلة ومحاولة إدماجهم وتنصيرهم وزرع الثقافة الفرنسية فيهم، باعتبارهم قرييون عرقياً من فرنسا على حد قولها صف الى ذلك انهم يفضلون اللغة الفرنسية على العربية(2).

بعد استقلال الجزائر كان هناك 327 كنيسة على الأقل من 700 معمر أوروبي مسيحي بالمقابل كان هناك 116 مسجد لأكثر من 08 ملايين جزائري ومع الوقت حولت الكنائس الى مساجد ككنيسة القديس "أوغسطين" بعنابة(3)، وكذلك كنيسة قسنطينة (الملحق رقم 15) في وسط المدينة والتي تتبع المذهب البروتستانتي ويشرف عليها أحد المنصرين الجزائريين يدعى "عبد القادر صايم" معتق الديانة المسيحية في بداية السبعينيات على يد "هوغ جوسنون" ومن أهم نشاطاتها توزيع الأناجيل باللهجات الدراجة وكذلك توزيع الكتب والأشرطة ذات المحتوى المسيحي(4).

II. موقف الفرنسيين والجزائريين تجاه نشاط الآباء البيض:

(1) - علي غنابزيرة، يمينة دهالسي: المرجع السابق، ص ص 153 - 154.

(2) - أحمد وادي: المرجع السابق، ص 303.

(3) - حواوسة جمال: المرجع السابق، ص 353.

(4) - عسلي أحمد، دهاش بشرى: التنصير - تخصص عقيدة ومقارنة أديان، جامعة وهران 01، أحمد بن بلة، كلية العلوم

الإنسانية والعلوم الاسلامية، قسم أصول الدين، 2020/2019م، ص 20.

1. بالنسبة للفرنسيين:

لقد اعترفت السلطة الفرنسية بنشاط الجمعيات التنصيرية في الجزائر، وعلى سبيل المثال تم الاعتراف بجمعية مبشرات السيدة الإفريقية عام 1875م، وجمعية الآباء البيض عام 1878م، وقد وجدت في نشاط هذه الجمعيات خدمة لمصالحها الاستعمارية كما تميزت علاقات المنصرين والحكام العاميين في الجزائر بالتذبذب في عدة مواقف وهذا راجع إلى طبيعة العسكريين الداعمين للتنصير والمنصرين والمعارضين له⁽¹⁾. حيث وجد الكاردينال "لافيجري" مؤيدين له من العسكريين خلال نشاطه في الجزائر، وهذا بتقديم له بعض الخدمات الخيرية لمناصرته كالجنرال "ومبفن" الذي دعمه بثلاثين خيمة وجنودا ليتم تنصيب الملاجئ⁽²⁾، كما وجد الآباء البيض التأييد من الأميرال "دي قيرون"، الذي دعم الكاردينال "لافيجري" في نشاطه خاصة خلال ثورة المقراني والتي وقعت في 1871م، وطالبه بتحلي بالصبر وقد تم تلقيبه بالأميرال الكاردينال⁽³⁾. واستطاع الكاردينال "لافيجري" أن يكسب في حملته ضد الإسلام أنصار مثل النائب "تومسون" الذي هاجم تعاليم القرآن بغير أخلاقية وبربرية كما هاجم العلماء المسلمين لتعصبهم و جهلهم⁽⁴⁾، وكانت السلطة الإستعمارية تحمي المنصرين وتبين هذا الموقف في تسليحهم لجمعية إخوان الصحراء وتبرئة الجزويت من قضية تهريب الأطفال كما تم تطبيق قرار إيقاف الجمعيات الغير معترف بها في فرنسا والجزائر كونها جزء لا يتجزأ من فرنسا لكن "لافيجري" اعترض على هذا القرار فتم تطبيقه في فرنسا وبقي في الجزائر⁽⁵⁾.

(1) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 43- 45.

(2) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 109.

(3) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 47- 48.

(4) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860/1900م، ج1، المرجع السابق، ص408.

(5) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 49- 50.

بعد الرسالة التي نشرها الكاردينال "لافيجري" في 06 أبريل 1868م، التي أعلن فيها عن تبنيه للأطفال اليتامى تخوفت السلطة الفرنسية من هذا القرار، حيث كان هذا المنشور محل نقد المعارضين للتصير وهذا تخوفاً من عودة رجال الدين إلى المجال السياسي الذي عانت منه فرنسا طويلاً كما خشيت من مواقف ونتائج التصير على المستعمرة⁽¹⁾. ومن بين المعارضين للنشاط التصيري للآباء البيض الحاكم العام "مكماهون" الذي عارض "لافيجري" في قضية الأيتام والذي رفض هذا الأخير تسليمهم فتخوف الحاكم العام "مكماهون" من عواقب هذا الرفض وتدخل شخصياً لدى "نابليون"، لكن الكاردينال "لافيجري" استطاع الانتصار باستعانتة بالبابا وأصدقائه ذوي النفوذ⁽²⁾، إضافة إلى الحاكم العام "شانزي" الذي حاول التقرب من الجزائريين وذلك من خلال السماح لهم بالحج وهذا السلوك لم يرضى "لافيجري" وخلق صراع بين رجلين وانتهى بفرض الحاكم العام "شانزي" الرقابة على الجمعيات التصيرية⁽³⁾. كما عارض البعض بشكل مختلف ووصفوا "لافيجري" بشبح المسيح، حيث كتب أحد المحررين في جريدة "بريد الجزائر" بأن إنجيل القديس "بطرس" و"أوغسطين" يدعو إلى إعادة الطفل إلى ذويه⁽⁴⁾.

من السياسة التصيرية فإنهم كانوا مع فكرة التصير وفكرة فتح التعليم أمام الجزائريين لاستدراجهم شيئاً فشيئاً بالوسائل الإغرائية المتنوعة بهدف استمرار الوجود الفرنسي وتسهيل عملية التخاطب والتصير⁽⁵⁾، كما سعى الكاردينال "لافيجري" إلى

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص ص 111-112.

(2) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860/1900م، ج 1، المرجع السابق، ص 406.

(3) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص ص 48-49.

(4) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 112.

(5) - الصادق دهاش: المرجع السابق، ص 34.

كسب ود المستوطنين⁽¹⁾، حيث اجتمعت مصالحهم معه في عدة مواقف خاصة بعد وقوفه إلى جانب المدنيين خلال الصراع بينهم وبين العسكريين⁽²⁾.

بالإضافة إلى الوعد الذي قدمه الكاردينال "لافيجري" للمستوطنين بتقديم يد عاملة من الأطفال اليتامى حيث منحوا له تبرعات مالية⁽³⁾، حيث وجد المستوطنين في الكاردينال "لافيجري" أداة فعالة للمناداة بمطالبهم الاندماجية فعند انتصارهم سنة 1871م (أي الانتقال من الحكم العسكري الى الحكم المدني)، لم يمدوه بالمال اللازم لمشاريعه، إلا أنه كسب منهم التأييد بخصوص رفضه لتسليم الأطفال اليتامى⁽⁴⁾.

II. بالنسبة للجزائريين:

1.2. موقف السكان:

كل الإجراءات التعسفية التي قامت بها الإدارة الاستعمارية، أدت إلى إيقاظ مشاعر المجتمع الجزائري والبحث عن وسائل الوحدة وجمع الصفوف والعمل المشترك ضد العدو وهذا ما يعرف بالضمير الوطني⁽⁵⁾. أما موقف الجزائريين من ذويهم الذين غروا بهم المنصرين فانتصروا، فقد تمثل في أتباعهم نظاماً خاصاً في معاملاتهم وذلك بالتضامن القوي الذي يربط أفراد المجتمع الجزائري بتعرض للنبذ والمقاطعة الجامعة من قبل أصله وذويه، وبالتالي فإن عليه أن يغادر القرية أو لا خيار آخر وهو العودة إلى دينه الأصلي (الإسلام) هكذا يتمثل نفي المنتصر وعزله أحد المظاهر الرئيسية لرفض الجزائريين للنصرانية كدين بديل للإسلام وأيضا من بين الوسائل التي

(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 109.

(2) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1820م، ج1، المرجع السابق، ص406.

(3) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 110.

(4) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1820م، ج1، المرجع السابق، ص408.

(5) - عميرواي أحمدية: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، ط2، دار الهدى،

عين مليلة، 2005م، ص 52.

اتبعها الجزائريين في رفضهم للتصير هي الامتناع عن مصاهرة المنتصرين الجزائريين وهذا ما مثل عقب وضعها للمجتمع الجزائري أمام واحد وسائل ردعهم⁽¹⁾.

عارض الجزائريين حركة التصير منذ البداية ورأوا فيها خطرا على دينهم وهويتهم، فتحصنوا أولا في بيوتهم فلم يرسلوا بأولادهم إلى المدارس الفرنسية خوفا عليهم من التصير والفرنسة المتلازمين، واحتجوا على تحويل المساجد إلى كنائس⁽²⁾، وقاطعوا التعليم الفرنسي باعتباره تعليما تنصيريا يتنافى مع عناصر هويتهم⁽³⁾. وضل الأهالي معارضون هذه الحملة التنصيرية وكانوا على استعداد منتظرين الإشارة فقط للتصدي لمثل هذه السياسة والبطش ورفع راية الكفاح⁽⁴⁾.

نذب المجتمع الجزائري المنتصرين وقام بمقاطعتهم ومن تنصروا طردوا من قراهم، ولفظوا من المجتمع كما يلفظ الجسم الغريب، وأطلق المجتمع الجزائري على من تنصر من العرب لفظ " أمطاً" مطورني (M'tourni) وهي كلمة مركبة من العربية والفرنسية ومنذ تلك الأيام أصبحت متداولة في العامية الجزائرية ولا زالت لحد الآن، كما أنها أصبحت تستعمل في اللغة الفرنسية و لغات أوروبية أخرى وتعنى المرتد (Menègat) أي المتخلي عن الإسلام ومعتنق النصرانية⁽⁵⁾.

هناك توافق كبير بين موقف المؤرختين (Turin) و (Colonna) حول رفضهم للثقافة الفرنسية وتقول (Colonna) أن عدد الجزائريين الذين دخلوا المدارس الفرنسية في

(1)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص ص 234 - 233.

(2)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص 139.

(3)- الصادق دهاش: المرجع السابق، ص 33.

(4)- مزياني وشن: مقاومة الاحتلال بالهضاب العليا عبر عصور إقليم برج بوعرييج أنموذجا- دراسة تاريخية، كوكب العلوم، ط01، الجزائر، 2015م، ص 204.

(5)- عبد القادر بوتشيخة: "لافيجري والتصير في الجزائر ضخامة الإمكانات والجهود وضالة النتائج والمردود قري العرب النصارى - أنموذجا"، مجلة آفاق علمية، مج 11، ع 02، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2019/05/20م، ص664.

تقلص بنسب ملحوظة ولوحظ أن المراكز التي يكثر بها عدد الزوايا والمؤسسات التعليمية الحرة يقل إقبال الأهالي على المدارس الفرنسية⁽¹⁾. والتي رأت أن الأوراس تعيش حالة من الانفصام في الشخصية، بل وأنتجت المنطقة العديد من رواد الثقافة العربية كداعية الإصلاح عمر دردور ورغم التضيق على هؤلاء وسجنهم إلا أنهم ساهموا في جعل اللغة العربية لغة الثقافة والكتابة والاتصال لدى سكان الأوراس، ووقف سكان الأوراس في وجه لغة المستعمر و تأثيراتها ولا تزال متجذرة في المنطقة مستشهدة في ذلك بعبارة سمعتها من والي الأوراس الذي قال « إن الأمر الجيد هنا هو أن كل شيء يبدأ باسم الله»⁽²⁾.

أما في منطقة بسكرة فقد وقف السكان في وجه مدارس الآباء البيض والأخوات البيض، فحاولوا مواجهة الاستعمار الفرنسي عن طريق المزوجة بين التعليم العربي والإسلامي، وكذلك القيام بتأسيس المدارس والمعاهد والجمعيات الثقافية والفكرية ومن هذه الجمعيات تخرج رجال الإصلاح الذين قاموا بمواجهة التنصير⁽³⁾.

فكان مثلا في منطقة ميزاب " مامة نسليمان" أكبر مناهضة للتنصير، فأخبرت أنه كل من يتعامل مع المنصرين يغسل يديه مباشرة ولاقت هذه المقاطعة استجابة واسعة في أوساط النسوة الجزائريات⁽⁴⁾. و رغم كل الجهود التي قدمتها فرنسا لإنجاح المشروع التنصيري إلا أنه فشل، وخاب أمل الفرنسيين وبرهن للجزائريين تمسكهم بدينهم على الرغم من المغريات التي قدموها لهم، و أدركوا أن مهمة الآباء البيض لم تكن دينية صرفة يقدر ما كانت خدمة للاستعمار ونشر التفرنج الذي يخدم الاندماج⁽⁵⁾.

(1)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص 33-39.

(2)- ناصر الدين سعيدوني: المسألة الثقافية في الجزائر، النخب، الهوية، اللغة، دراسة تاريخية نقدية، المرجع السابق، ص 85.

(3)- نور الهدى سعدي، دعاء خيزار: المرجع السابق، ص 110.

(4)- المرجع نفسه، ص 110.

(5)- محمد الحاكم بن عون: المرجع السابق، ص 99.

ويجب الإشارة هنا إلى أنه بعد سبعين سنة من الاحتلال حدث الجفاف الثقافي والقطيعة التي حاول الاستعمار فرضها على التراث الإسلامي ضف إلى ذلك التدهور الاقتصادي وسوء الحالة الاجتماعية جعلاً من منحى الثقافة يشهد تراجعاً فما كان على السكان إلا إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية وبدأ هذا الرفض يتضاءل⁽¹⁾.

2.2. موقف الزوايا ورجال الدين:

يقصد بالزاوية المؤسسة التربوية والتعليمية والتي تؤدي أدواراً تعليمية وسياسية أسسها علماء وأولياء بمعية السكان الذين تبرعوا بالأرض وأوقفوا حصصاً من عقاراتهم لخدمتها⁽²⁾. وكانت ذو نوعين، نوع خلواتي والتي يدعي شيوخها المعرفة بالأسرار الغيبية أما النوع الثاني فهو الغير خلواتي والتي لا يدعى شيوخها الأسرار الدينية وكانوا مثقفين حافظين لكتاب الله تعالى، وأضاف أحمد توفيق المدني في هذا الصدد أن لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا الجزائر مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام لهذه البلاد ، وعمل رجالها على إرجاع الضالين الى سواء السبيل، وتعليم الناشئين وبث العلم في صدور الرجال «⁽³⁾. ففي منطقة الشرق الجزائري اتخذت من التعليم وسيلة أساسية للحفاظ على الإسلام والعربية لأنهما روح الأمة فكان أبسط الناس يحفظ أجزاء ناهيك عن من يحفظه على ظهر قلب، فالزوايا لها الفضل الكبير لوصول القران إلى الشرق الجزائري الى أعماق الأوراس وفجاجها وإلى منطقة الزيبان شرقها وغربها إذ يعتبر الدور الديني لشيخ الزاوية من ضمن المهام الأكثر حساسية فهو الموجه والمرشد⁽⁴⁾.

(1) - سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص33 - 39.

(2) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 322.

(3) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص ص375 - 376.

(4) - إسماعيل خنفوق: المرجع السابق، ص 92.

كان للمرابطين ورجال الزوايا دور في رفض التنصير وإبعاد أتباعهم، فكان المتصلون منهم بالسلطة الفرنسية يحتجون لديها وينذرونها بسوء العواقب مثل ما فعل "ابن علي الشريف"، وأما غير المتصلين بالسلطة فكانوا يقاومون بوسائلهم الخاصة بتتبيه الغافلين ووعظ الناس عن طريق المقدمين والإخوان⁽¹⁾.

فلم يجد الجزائريين سوى الزوايا التي تشفي غليلهم ولو بالحد الأدنى من التعليم، ففروا الى الزوايا والكتاتيب كآخر ملاذ لهم لحمايتهم من بشاعة التنصير وبالتالي تكون الزوايا قد حافظت على تاريخ وهوية الجزائريين دون منازع رغم ما تعرضت له من حصار وتشويه بغية عزلها عن محيطها وحتى لا تلعب دور المنقذ للسكان، من بطش الاستعمار وضغط التنصير وعملت في المقابل على توعية المواطنين بما يحاك ضدهم⁽²⁾.

بقيت الزوايا منتشرة في الجزائر رغم قضاء المستعمر على العديد منها وبقيت لمعالجة المرضى وإسعافهم وتقديم المساعدة للمعوزين وملتقى لحث المواطنين على الجهاد وعدم الولاء للكفار، ولعبت كذلك دور بارز في الحفاظ على الشخصية الإسلامية الجزائرية من التفسخ والذوبان في دائرة التنصير فعملت على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه ونشره وتعليم بعض العلوم الدينية واللغوية وآوت الفقراء والمساكين فتخرج منها أجيال من المثقفين واستطاعت أن تحفظ الإسلام وعمل رجالها على إرجاع الضالين إلى سواء السبيل وتعليم الناشئين وبت العلم في صدور الرجال⁽³⁾. من أهم الزوايا بالشرق الجزائري الزاوية العثمانية لطولقة وزاوية خنقة سيدي ناجي⁽⁴⁾.

(1) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص ص 139 - 140.

(2) - الصادق دهاش: المرجع السابق، ص 33.

(3) - سعدي مزيان: قضايا ودراسات تاريخية، مطبعة النجاح، الجزائر، 2013م، ص 230.

(4) - إسماعيل خنفوق: المرجع السابق، ص 92.

أما في الأوراس فغدت الزوايا قطبا للحياة الدينية ومراكز ثقافية تعليمية مهمة، كالطريقة الرحمانية والتي امتدت نحو الشرق الجزائري مروراً بالأوراس والطريقة القادرية وغيرها كان لها الدور الكبير في مواجهة المنصرين والآباء البيض والأخوات البيض الذين نزلوا بأريس وضواحيها لكن لم تكن كل الطرق الصوفية والزوايا في مسار واحد بل كان البعض منها قد ساير المحتل ووقف إلى جانبه⁽¹⁾.

ويذكر أن الطريقة الرحمانية التي صعّدت سلطتها في منطقة الشرق الجزائري وخاصة الريف القسنطيني، قامت بدور محوري في نشر التضامن بين سكان المنطقة ونشر العلم والتأخي⁽²⁾. كما ساهمت في الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية عبر مؤسساتها التعليمية وفي تكوين وتنشئة جيل أول نوفمبر الذين تتلمذوا وتدرس أغلبهم على يد مشايخ الزوايا الطريقة الرحمانية كزوايا الأوراس و زوايا النمامشة، وزوايا جرجرة، وزوايا الزيبان، وزوايا وادي سوف ضف إلى ذلك زوايا الشمال القسنطيني⁽³⁾.

3.2. موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تبينت خطط الاحتلال التخريبية والنوايا الصليبية العنصرية والتي تهدف إلى القضاء على الإسلام منذ الاحتلال فعمل التنصير كحداولة له على طمس الهوية الإسلامية للشعب الجزائري والاعتداء على كل المقدسات الإسلامية من مساجد وزوايا ومدارس عربية إسلامية ومكتبات دينية في عاصمة البلاد وغيرها من المدن الجزائرية مما جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحارب التنصير بجهود فردية ونشاطات

(1)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص33-39.

(2)- شمس الدين زراري: "دور الزاوية الرحمانية في محاربة الاستعمار الفرنسي في الجزائر من 1830م الى بدايات القرن العشرين"، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 06، ع 02، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2021م، ص 523.

(3)- نفسه، ص 571.

فكرية في ميادين مختلفة وأن مقاومة العدو المحتل لا يمكنها أن تتوقف إلا بعد إجلاء من البلاد⁽¹⁾، ولقد خاضت جمعية العلماء المسلمين خلال الفترة الممتدة من 1931 إلى غاية 1954 م، معركة الدفاع عن القضية الإسلامية واللغة العربية والوطن الجزائري⁽²⁾، ولقد تحدث الإمام "عبد الحميد ابن باديس"⁽³⁾ على أهداف جمعية العلماء المسلمين في مواقف متعددة منها خطابه في اليوم الثالث من الاجتماع التأسيسي للجمعية حيث قال: « أن من مقاصدها جمع شمل هذه الطائفة المتفرقة للتعاون على ما هي مهياة له من نصح الأمة وإرشادها لما ينفعها في دينها و دنياها ... وتوكيد عرى الإخاء بين أبناء هذه الطائفة و حملها على نبذ أسباب الشقاق وطرح دواعي التوتر بينهم » وفي خطاب آخر قال: « إن غاية الجمعية هي إصلاح الفساد وتقويم المعوج و إرشاد الضال و إصلاح شؤون أهل العلم»⁽⁴⁾.

فمنذ 1931م عمل العلماء بجميع الوسائل من أجل فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية على غرار الديانتين المسيحية واليهودية في البلاد، حيث رأت أن المجتمع الإسلامي هو وحده من له الحق في تسيير شؤونه الدينية وأي تدخل من الحكومة الفرنسية يعتبر إجحافا في حق المسلمين فطالبت بإرجاع الأوقاف الإسلامية

(1)- صليحة بن سباع: الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر جمعية ابن باديس نموذجا، ع 02، مجلة مجتمع تربية عمل، ديسمبر، 2006م، ص ص 10-11.

(2)- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1945/1831م، دراسة تاريخية وايدولوجية مقارنة، الرويبة، الجزائر، 1996م، ص 148.

(3)- عبد الحميد ابن باديس: ولد يوم: 1889/12/04م، بقسنطينة من أسرة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، ذات نفوذ سياسي غادر الى مسقط رأسه في 1908م وتخرج من جامع الزيتونة بشهادة، يجيد اللغة الفرنسية حسب رأي شارل روبري اجيرون رغم أنه لم يدخل المدرسة الفرنسية شرع في التعليم العربي بالجامع الكبير بقسنطينة في 1913م، قام بأداء فريضة الحج عام 1914م توفي في 1940م رحمة الله عليه ... للمزيد ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، ص ص 80-81.

(4)- أسعد الهاللي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1962/1954م، أطروحة دكتوراه، تاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2012م، ص

التي اغتصبتها الدولة الفرنسية من أصحابها الشرعيين⁽¹⁾، فوضعت جمعية العلماء المسلمين استراتيجية محكمة لمحاربة التنصير من خلال فضح البعد الصليبي للاستعمار بأنه ليس مجرد أطماع اقتصادية بل كان قبل ذلك أحقاد دينية دفينه في نفوس سياسية الاستعمار وقادته ومنظريه فأخذت تقوم بتوعية وتحسيس الأمة الجزائرية بواجبها وبمدى الخطورة التي تهدد دينها ولغتها كما اهتمت اهتماما كبيرا بالتربية والتعليم قصد توجيه أبناء الأمة الجزائرية توجيهها دينيا خلقيا واجتماعيا ووطنيا صحيحاً وفق خطة محكمة متمثلة في إنشاء المدارس العربية الحرة وتأسيس المساجد والنوادي لنشر التعليم العربي الإسلامي والاهتمام بالشباب وتعليمهم وتثقيفهم وحمايتهم من كل عوامل التنصير والانحراف باعتبارهم أمل الجزائر المرجو⁽²⁾، واستمر الموقف الرفض لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتنصير والمطالبة بتحرير الدين الاسلامي وذلك من خلال:

- تحرير المساجد والأوقاف الاسلامية.

- تحرير رجال الدين الاسلامي وكذلك القضاء الاسلامي.

- تحرير الحج بتدخل الحكومة في أي شأن من شؤونه⁽³⁾.

لقد قاومت الجمعية التنصير بقوة وسخرت صحفها ودروس المساجد إلى كشف مخططات الاستعمار وتصدى كتابها للمنحرفين أمثال "لحمق"، "بيلاح"، "سعدي اواكيلي"، "الزناتي" وغيرهم⁽⁴⁾.

(1)- عبد الكريم بوصفصاف: المرجع السابق، ص 148.

(2)- طويل حياة: المرجع السابق، ص 328.

(3)- مصطفى هادف: "المشروع الديني والقضائي الفرنسي في الجزائر وموقف جمعية العلماء المسلمين منه"، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 06، جامعة باتنة 01، 01/13/2022م، ص 173.

(4)- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص 140.

كما أظهر "الزاهري" تألمه وشدة حزنه لما رأى رجال الكنيسة والأبباء البيض يقيمون احتفالا يوم 23 ماي 1933م بمناسبة تتصير ألف وسبعمائة من المسلمين الجزائريين، وقد بذل القائمون على الاحتفال أقصى ما يمكنهم أن يبذلوه من نفقات ليجعلوه شائع يجمع كل أسباب الدعاية ليعظموا في أعين الناس، وليغمرهم الناس بالمدح والثناء ويقدر المسيحيون الكاثوليك أعمالهم فيمدونهم بالأموال، وكان الهدف من هذا الاحتفال هو إغراء المسلمين بالمسيحية، كل هذا المنظر مؤثرا جدا يثير الهموم والأحزان فقد كانت تعلق في وجوههم سحب سوداء من الاكتئاب تدل على الآمهم وليس على وجوههم أي علامة تدل على أنهم قد رضوا هذا لأنفسهم هذا الدين الجديد وإرتاحوا إليه⁽¹⁾ (الملحق رقم 16)، و أراد الكاردينال "لافيجري" أن يجعل من بسكرة زاوية مسيحية واقترح أن يسميها "بيت الله" وأراد أن يكون لباسهم مشابه للباس الإخوة المسيحيين⁽²⁾، ولهذا حذر المصلحين من تعليم البنت المسلمة عند الأخوات البيض (المنصرات)، فكتب أحدهم: « ولقد ظن الكثير أن في تعليم بناتهم المنسوجات عند اليسورات (أي الأخوات البيض بالفرنسية) خيرا كثيرا ولكن هل تعليمهن قاصر على خدمة الصوف أم يتعدى الى إدخال كثير من السموم في عقيدتهن ؟»⁽³⁾.

كان لجمعية العلماء المسلمين دورا في منطقة الأوراس في الإصلاح فغادر طلاب أوراسيون للدراسة في جامع الأزهر وجامع الزيتونة بتونس وكان كلهم من أريس وضواحيها، و تأسست الشعبة الأوراسية الإصلاحية في أوت 1937م، بحيدوس بدوار عبيدي من طرف خريجي الجامع الأزهر أمثال "عمر دردور"، "الأمير صالح"،

(1)- جريدة الشريعة، ع 02، 24 يوليو 1933م، ص 06.

(2)- هادف مصطفى: المرجع السابق، ص 168.

(3)- عبد القادر قوبع: المرجع السابق، ص 140.

محمد يكن" ...الخ وكان هدف هذه الجمعية إصلاحية تعمل على تنقية الدين الإسلامي من الخرافات والبدع وإحياء القيم ونشر التعليم⁽¹⁾.

III. ردود فعل سكان الشرق تجاه نشاط الآباء البيض:

1. رد فعل السكان:

على الرغم من محاولات فرنسا بتهديم جميع المعالم الإسلامية في الجزائر وتحويلها إلى كنائس أو مخازن للأسلحة أو اسطبلات للخيل، إلا أن ذلك لم يضعف عزيمة الجزائريين في الاستمرار لمقاومة مثل هذه السياسة مدافعين بذلك عن دينهم الإسلامي⁽²⁾، ولقد نتج عن الأعمال التنصيرية في الجزائر رد فعل دفاعيا فوريا من جانب المسلمين وبالخصوص الإصلاحيين فعملوا على إحياء الدين وخدمة المجتمع⁽³⁾، فتمثل رد الجزائريون على محاولات فرنسا التنصيرية من خلال:

- تحدى كل القوانين الصارمة التي أصدرتها فرنسا ضدهم وضد دينهم.
- تأدية الشعائر الإسلامية في بيوتهم وفي الشوارع علنا على الرغم بمعرفتهم بأن ذلك سيدخلهم السجن ويجعلهم يدفعون غرامات مالية كبيرة لمخالفتهم للتعاليم الفرنسية.

- القيام بنشر الدين الإسلامي داخل فرنسا نفسها.
- بناء المساجد وتعيين أئمة وفقهاء لها مهنتهم إعادة نشر الثقافة الإسلامية وحماية الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية من الفرنسية والتنصير⁽⁴⁾.

(1)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص 33-39.

(2)- ورود معيط، نوفل وضاح: المرجع السابق، ص 178.

(3)- بشير بلاح: مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية، (1925/1940م)، عالم المعرفة، الجزائر، (د.س)، ص 74.

(4)- ورود معيط، نوفل وضاح: المرجع السابق، ص 178.

وأمام تهديم وتحويل المقدسات الإسلامية خاصة المساجد وتشويهها كان رد فعل الجزائريين عنيفاً فاندلعت على إثر ذلك عدة ثورات في مختلف جهات البلاد ضد هذه الوضعية المأساوية وخاصة عندما بدأت المساجد تداس بالأقدام الأوروبية⁽¹⁾.

ومن هنا فشلت جهود المنصرين عندما أرادوا تغيير التاريخ بتحويلهم الجزائر إلى أرض مسيحية⁽²⁾. فنجد أن الكنيسة ركزت نشاطها في المدن بعد فشلها في القرى، ففي الصحراء قاوموا هذا النشاط ووصل إلى حد اغتيال الآباء البيض والأخوات البيض مما أجبرهم على وقف نشاطهم كاملاً. إلا أنهم بعدما استأنفوا نشاطهم لم يجدوا الطريق ممهدة لإكمال مشروعهم التصيري⁽³⁾، ومن الآباء البيض الذين أرسلهم "لافيجري" وقام السكان باغتيالهم: "الأب مينوري"، "الأب بوشار" ... الخ، قتلوا في "عين إيفل" كما قتل القسيسان "ريتشارد" و"كير مابون" في الصحراء الشرقية⁽⁴⁾. ويقول "محمد بيرم" الخامس أنه في حوالي عام 1878م الأطفال المسلمين الذين رباهم الآباء البيض والأخوات البيض قام البعض منهم بالهرب إلى أهلهم بعد أن كبروا وعلموا حقيقة حالهم لهذا عملت الإدارة الفرنسية لإبعادهم إلى فرنسا وبقي الجزائريين معارضين لنشاطاتهم بصمت بالمقاطعة تارة وبالفعل تارة أخرى، وما كان عليهم إلا انتظار المصلحين وظهور الصحافة لكي يجردوا أقلامهم وألسنتهم ضد النشاط الكنيسي في بلادهم⁽⁵⁾.

يكون على كل من اعتنق المسيحية مهدد بالقتل من طرف أهله، بحيث امتنعت بعض العائلات من الذهاب إلى المراكز العلاجية التي يشرف عليها المنصرون ورفضهم إرسال أبنائهم إلى مدارسهم فكانوا يرون أنهم في ذهاب أبنائهم إلى المدرسة

(1) - عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 73.

(2) - المرجع نفسه، ص 73.

(3) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1860م، ج1، المرجع السابق، ص 411-412.

(4) - محمد الحاكم بن عون: المرجع السابق، ص 100.

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1860م، ج1، مرجع سابق، ص 413.

معناه التعرض الكامل لخطر التصير⁽¹⁾، ويذكر في هذا الصدد الأستاذ "محمد الطاهر وعلي" حال الطفل الذي تنصر فما كان على أحد من أقربائه أن يرمي به في بحر بمنطقة بجاية سنة 1900 م بعد رفضه لنطق الشهادة⁽²⁾.

ظهرت كذلك عدة مقاومات و التي قامت من أجل الدفاع عن المقدسات الدينية كمقاومة "أولاد سيدي الشيخ" والتي كان سببها تغيير النظام العسكري إلى النظام المدني، ومقاومة "بني مناصر" في (14 جويلية-21 أوت 1871م)، وشملت منطقة مليانة، شرشال، و كان سببها سياسية فرنسا الاستبدادية الظالمة التي انتهجها الكولون ضد سكان شرشال ومليانة من الإعتداء على ممتلكاتهم والمساس بمقدساتهم الدينية⁽³⁾. كما أن هذه المقاومة شملت الأوراس كمقاومة "أحمد باي" وثورة "الأوراس"⁽⁴⁾، وثورة "محمد الصالح بن عبد الرحمن" في الأوراس التي تكاد لا تذكر⁽⁵⁾، وثورة "1954م"، حيث أخذ سكان الأرياف مقاومة سلبية لثقافة فرنسا واعتبروها كفرا بسيئاتها وحسناتها دون تراجع في مواقفهم والتي أصبحت مسلمة بها عندهم⁽⁶⁾.

تمكن المسلمون الجزائريون بمختلف الأساليب والوسائل المتاحة لديهم أن يواجهوا ويعطلوا آلة التصير التي جاءت على مقدسات هويتهم بالعمل بجد على فضح سياساتهم حيناً وبالذود عن دينهم ومعتقدهم حيناً آخر بترسيخه في قلوبهم وبالتمكين للغة العربية بتعليمها والحديث بها، كما كانت للمقاومات الشعبية أفضل أسلوب للرد على هذا الفكر المسيحي الدخيل على الأمة الإسلامية الجزائرية، وتعتبر الطرق

(1)- عبد القادر حلوش: المرجع السابق، ص 118.

(2)- محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص 115.

(3)- محمد الحاكم بن عون: المرجع السابق، ص 100.

(4)- سفيان لوصيف: المرجع السابق، ص ص: 33 39.

(5)- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ال جزائرية 1900/1820م، ج1، المرجع السابق، ص 320.

(6)- سفيان لوصيف: مرجع سابق، ص ص: 33 39.

الصوفية المتواجدة بالجزائر هي التي تقود هاته المقاومات والممول الرئيسي لها وكانت تقوم بنشاطات باسم الدين و رد عدوان الحركة التنصيرية⁽¹⁾.

2. رد فعل الزوايا:

لقد تطورت الزوايا وأصبحت تتولى مهمة الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية بعد أكثر من حملات التنصير (التنصير بالنصرانية)، وحفظ أركانها والتصدي لحملات طمس الهوية التي باشرها المنصرون⁽²⁾. كما أنها كانت مركز للمقاومات والثورات المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي⁽³⁾، حيث اتخذت من التعليم وسيلة للرد على سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الفرنسية تستخدمها ضد الأهالي الجزائريين ونشر الإسلام في جميع الوطن⁽⁴⁾. إضافة إلى تدريس العلوم المختلفة كالتاريخ والسير في الغزوات⁽⁵⁾، الغزوات⁽⁵⁾، إلى جانب تحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة وتعميمه على مختلف الطبقات الاجتماعية⁽⁶⁾. كما اتخذت الجهاد بالقلم والسيف وأصبحت الزوايا معهدا ورباطا يضم الطلاب والمجاهدين و تصدت الزوايا لمنصري الاستعمار كشارل "لافيجري" وغيره ومهدت بمهنة الدفاع عن مقومات الأمة دينيا وعسكريا وسياسياً⁽⁷⁾، ومن أشهر الطرق الصوفية التي ردت على حركة التنصير: "الطريقة الرحمانية"،

(1) - حكيم بن الشيخ: المشروع التنصيري الكاردينال لافيجري في الجزائر من خلال كتاب بول ريمبو الوجوه البارزة لمثوية احتلال الجزائر 1930/1830م، مج 10، ع 04، جامعة المدينة، 2018م، ص ص 116 - 117.

(2) - حبيب بن عودة: أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، (ط،خ)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 03.

(3) - عزيل مهداوي: جمال زيدان: دور الزوايا الطرقية في تحقيق الأمن المجتمعي في الجزائر الزاوية الرحمانية أنموذجا، مجلة دفاتر السياسة والقانون، مج 11، ع 3، (د.س)، ص 355.

(4) - يحيى بوعزيز: المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة اللغة العربية، ع 16، جامعة جامعة وهران، ص 107.

(5) - حبيب بن عودة، مرجع سابق، ص 03.

(6) - يحيى بوعزيز: مرجع سابق، ص 106.

(7) - حبيب بن عودة: المرجع السابق، ص 03.

"الطريقة القادرية"، " الطريقة الهبرية"⁽¹⁾، "الشاذلية"، "العیساویة"، "السنونیة"، "الطیبیة"، "التیجانیة" و"العلویة"⁽²⁾.

وهذه الأخيرة اعتمدت على حملات تحسيسية ونقلت أخبار مؤتمرات التنصير والاستشراق التي كان المنصرين يعقدونها ووضحوا سبيل الابتعاد عنها كما كانوا يحذرون الأمة بطريقة صريحة حول استغلال المنصرين للفرص كما نبهوا الآباء الذين يرسلون أبنائهم إلى المدارس الفرنسية إلى ضرورة تعليمهم كما كان من الأساليب التي استعملوها في محاربة التنصير هو نقل أخبار الداخلين إلى الإسلام⁽³⁾.

ولقد ردت الزوايا عن طريق ثورات ضد الاحتلال الفرنسي وكانت تعلن باسم الجهاد في سبيل الله والدفاع على حرمة الدين والوطن وكان أغلب قادتها من المقدمين في الطرق الصوفية، ومن بين هذه الثورات نذكر ثورة 1871م، بقيادة الشيخ المقراني "والشيخ الحداد" والتي كان أحد أسبابها هو تعدى المنصرين على حرمة الدين و دعوة المسلمين إلى دين النصارى و سب دين الإسلام فقد اتخذت الزوايا هذا الأسلوب للرد على سياسة التنصير خاصة أن المنصرين مدعين بقوة السلاح خاصة العسكريين والجنرالات⁽⁴⁾، إضافة إلى قيام الثورات في الشرق الجزائري كثورة "الأوراس" في 1879م، وثورة "الهاشمي دربور" من مدرونة بالأوراس عام 1880م⁽⁵⁾، وقد ردت الطريقة الرحمانية على هذه السياسة بالجهاد⁽⁶⁾، إضافة إلى توسيع نشاطها و إنشاء الفروع ونشر التعليم فقد كونت فروع في منطقة زاوة ومناطق الجنوب إضافة إلى

(1) - عبد الرؤوف قرناوب: جهود علماء الجزائر في الرد على التنصير إبان الاحتلال الفرنسي 1830/1962م، مذكرة

ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 01، 2015/2014م، ص 121.

(2) - حبيب بن عودة: مرجع سابق، ص 04.

(3) - عبد الرؤوف قرناوب: مرجع سابق، ص ص 123 - 130.

(4) - المرجع نفسه، ص ص 134 - 133.

(5) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860/1900م، ج1، المرجع السابق، ص 329.

(6) - عبد الرؤوف قرناوب: المرجع السابق، ص 132.

توسيع زاوية قسنطينية الرحمانية "باشا تاريزي" وزاوية نفضة "العزوزية" كما في فترة الثمانينات والتسعينيات ظهرت لها فروع في خيران ناحية خنشلة وانتشرت الرحمانية في نواحي عين البيضاء و سوق أهراس على يد محمد الكامل⁽¹⁾.

3. رد فعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

قاومت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد ظهورها التصير، وهاجمته بقوة⁽²⁾. كما كان لها دور في الحفاظ على الثقافة القومية ونشر التعليم العربي والإسلامي⁽³⁾ ورعايته والدفاع عنه و تعتبر أهم الجهود الوطنية أثرا وأكبرها فعالية، حيث كان لها مساهمة كبيرة في بعث النهضة التعليمية والعربية ومحاولة إحياء الثقافة العربية الإسلامية⁽⁴⁾، والتحرر من الاحتلال الفرنسي من خلال مواجهة سياسة التصير والتصير حيث تلخص مشروعها في ما يلي:

-بناء المدارس العربية الإسلامية الحرة⁽⁵⁾: و كان للجمعية دور كبير في قيادة حركة التعليم العربي الحر والتربية الإسلامية لأنها تعلم الدور الكبير للتعليم في خدمة الشعب والحفاظ على تراثه⁽⁶⁾، وهذا عن طريق إنشاء المدارس الحرة لتعليم الأولاد والبنات الصغار اللغة والثقافة العربية الإسلامية والدين الإسلامي وتاريخ الجزائر والإسلام و العرب ومبادئ الإسلام والعلوم الحديثة والحساب⁽⁷⁾. حيث شملت مدارسها

(1) - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860/1900م، ج1، ص ص 327 - 331.

(2) - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص 140.

(3) - بن سباع صليحة: المرجع السابق، ص 16.

(4) - رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931/1956م - دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، (د.ن)، (د.ب)، (د.ب)، (د.س)، ص 206.

(5) - بن سباع صليحة: المرجع السابق، ص 17.

(6) - أسعد الهلالي: المرجع السابق، ص 38.

(7) - تركي رايح عامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931/1956 م ورؤسائها الثلاثة، ط1، المؤسسة

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004م، ص 75.

مدارسها كافة المناطق الجزائرية وحسب إحصائيات 1938م، فإن عدد مدارسها بلغ 85 مدرسة في عمالة قسنطينة⁽¹⁾.

إضافة إلى تأسيس أول مدرسة في منطقة الأوراس 1937م، وتأسست كذلك أول شعبة إصلاحية مشرفة على الإنشاء المدرسي وبعد ميلاد هذه الشعبة تم إفتح أول مدرسة بلدية باتنة، وكانت فروع من مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة إضافة إلى فتح مدارس أخرى في منطقة مشونش ومدرسة النشاء الجديد⁽²⁾، إضافة إلى مدارس أخرى منتشرة في مناطق عديد كمنطقة بسكرة⁽³⁾.

- تأسيس المساجد الحرة⁽⁴⁾: والتي اعتمدت عليها لنشر الإصلاح حيث كانت تقدم دروس الوعظ والإرشاد للعامة⁽⁵⁾ وعملت على إنشاء المساجد والجوامع على نطاق نطاق واسع من الوطن. ولم تقتصر مهمتها على أداء الصلاة بل إلى التعليم ونشر العلم وبعث الوعي واليقظة بين الجزائريين وأسست عدد كبير من المساجد الحرة التي كانت تعتمد عليها خلال أداء رسالتها⁽⁶⁾، كما عممت الدروس في كل قرية ومدينة ولعل أهم هذه المساجد نذكر المسجد الكبير والجامع الأزهر وسيدي قموسة، وسيدي بومعزة، سيدي فتح الله⁽⁷⁾.

- تأسيس النوادي الحرة⁽⁸⁾: أنشئت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النوادي بمختلف المدن والقرى الجزائرية جنبا لجنب مع المدارس والمساجد، حيث اعتبرتها

(1)- أسعد الهلالي: المرجع السابق، ص 38-39.

(2)- محمادي محمد: "الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس 1931/1951م - النشاط التعليمي نموذجاً"، المجلة المغربية للمخطوطات، ع05، جوان 2017م، ص 233-240.

(3)- أسعد الهلالي: المرجع السابق، ص 39.

(4)- بن سباع صليحة: مرجع سابق، ص 17.

(5)- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثارها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985م، ص 187-188.

(6)- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، المرجع السابق، ص 227.

(7)- أسعد الهلالي: مرجع سابق، ص 41.

(8)- بن سباع صليحة: المرجع السابق، ص 17.

الجمعية وسيط بين المدرسة والجامع⁽¹⁾، فكانت تهدف من خلال إنشاء النوادي إلى تنظيم الشباب و تربيتهم تربية دينية واجتماعية ووطنية قومية⁽²⁾. ذلك لأن فئات المجتمع الثالث؛ الصغار كانت تضمهم المدارس الابتدائية والكبار تجمعهم المساجد والشباب تخطفهم أماكن الفجور والخمور، وعليه وجدت الجمعية في النوادي وسيلة لتبليغ دعوة العلم والدين⁽³⁾.

- تأسيس الصحافة: التي اهتمت بواقع الشعب الجزائري من خلال صفحاتها، حيث أنشئت العديد من الصحف والجرائد الخاصة بها⁽⁴⁾ واتخذتها كأداة لتبليغ رسالتها للجزائريين⁽⁵⁾. وحملت راية البيان العربي وكافحت من أجل إحياء اللغة العربية وإرجاع الإسلام إلى حضيرته ونشر فكرة الإصلاح الديني وكانت أول جريدة لها هي السنة النبوية (1933م)⁽⁶⁾، إضافة إلى جريدة الشريعة (1933م)، الصراط السوي(1933/1934م) ومجلة الشهاب (1934م)، وكذلك جريدة البصائر(1935م) التي كان شعارها العروبة والإسلام⁽⁷⁾. لقد تميز رد فعل جمعية العلماء المسلمين كغيره من الردود إتجاه سياسية التنصير بإتخاذ وسيلة السلم للرد عليها وإتخاذ التعليم كسلاح للمواجهة بالعمل على إعادة وإحياء الدين الإسلامي الى ما كان عليه قبل الإحتلال والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية الإسلامية.

(1)- رابح تركي: المرجع السابق، ص 229.

(2)- تركي رابح عمامرة: المرجع السابق، ص 75.

(3)- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، المرجع السابق، ص 229.

(4)- أسعد الهلالي: مرجع سابق، ص 36.

(5)- تركي رابح عمامرة: مرجع سابق، ص 75.

(6)- أسعد الهلالي: مرجع سابق، ص 36-37.

(7)- تركي رابح عمامرة: مرجع سابق، ص 34-35.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع نشاط الآباء البيض في منطقة الشرق الجزائري، توصلنا إلى جملة من النتائج وهي كالتالي:

- الارتباط التقليدي لمسألة التنصير بالحركة الاستعمارية، والذي يدخل في إطار استمرارية الصراع بين العالم المسيحي والإسلامي.
- تعتبر مسألة تنصير الآخر بالنسبة للدول المسيحية ولا سيما فرنسا مظهرا من المظاهر الدالة على التطور والرقى الحضاري لهذه الدول.
- اعتبرت فرنسا الجزائر المستعمرة بمثابة البوابة الرئيسة لنشر المسيحية في كامل القارة الافريقية.
- عرفت فكرة التنصير في الجزائر نوع من التردد وهذا راجع لتخوف القادة العسكريين الفرنسيين من رد الأهالي الجزائريين.
- تعتبر بداية الحكم المدني الانطلاقة الجدية والمنظمة في تجسيد فرنسا لمشروعها التنصيري في الجزائر ككل من خلال ما يسمى بفرق الآباء البيض.
- شكلت منطقة الشرق الجزائري امتدادا جغرافيا وتاريخيا ودينيا لفرنسا لتجسيد مشروعها الاستعماري.
- اعتماد الآباء البيض على التعليم والتطبيب والأكل في نشر الديانة المسيحية؛ يدل على استغلال الإدارة الفرنسية للوضع السيئ للأهالي الجزائريين ويفتقر إلى أدنى الاعتبارات الإنسانية من جهة، ومن جهة ثانية على خبث السياسة الدينية الفرنسية البعيدة كل البعد عن المبادئ التي ادعتها فرنسا قبل احتلالها للجزائر.

- تمسك الجزائريين بهويتهم العربية والإسلامية سواء كانوا سكان عاديين أو رجال دين وعلماء...الخ، حال دون نجاح المشروع التصيري في الجزائر عموما ومنطقة الشرق خصوصا.

- رفض المشروع التصيري من طرف الآباء البيض في منطقة الشرق الجزائري دلالة على وحدة اللغة والدين للمجتمع الجزائري ككل.

الملحق 01: تحويل مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية⁽¹⁾



(1) - أحمد مسعودي: المرجع السابق، ص 85.

الملحق 02: الأسقف "بافي" (1)



03:

"لافيجري"

الجزائر (2)

الملحق

الكاردينال

عند دخوله

(1) – Fidecatholica. Wordpress. Com.

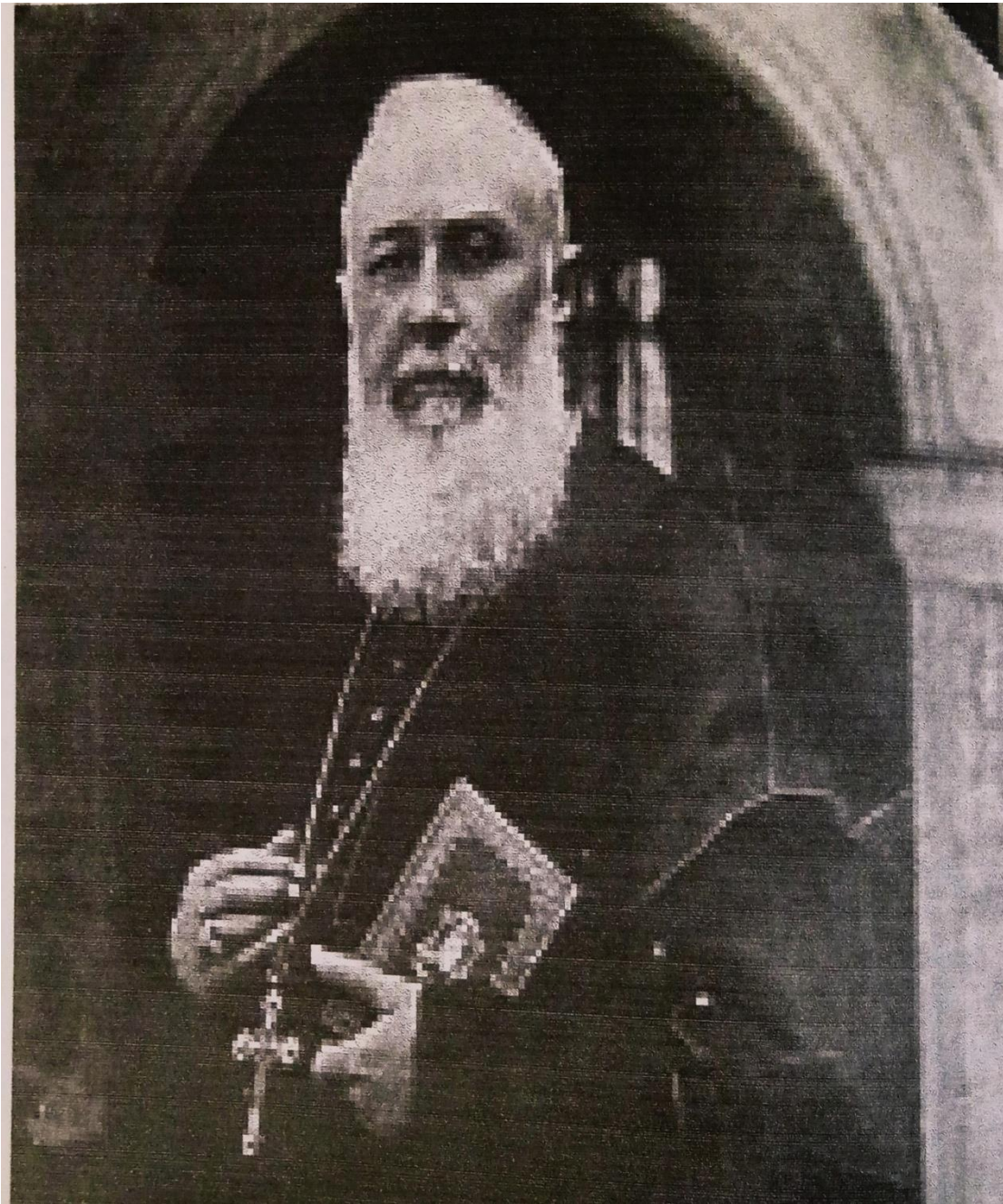
(2) – سعدي مزيان: المرجع السابق، ص518.



الملحق 04: الأسقف "لافيجري" متتكرراً بالزي العربي (1)

(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 517.

الملحق 05: الكاردينال "لافيجري" في قمة نشاطه التصيري (1825-1892م). (1)



(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 519.

الملحق 06: الكاردينال "لافيجري" ومجاعة 1867م (1)



اغتنام الأسقف لافيجري لمجاعة 1867م لتقديم خدماته الإحسانية
التبشيرية للجزائريين

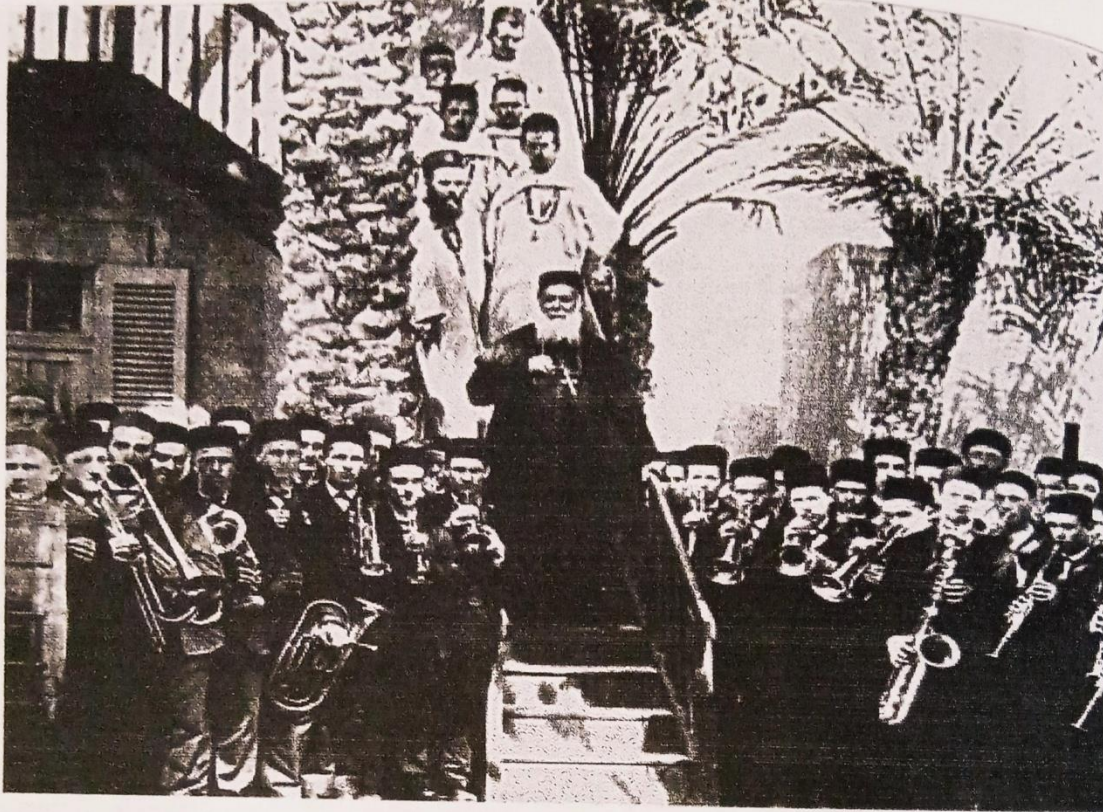


نماذج من الأطفال المنصرين من قبل لافيجري

(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 520.



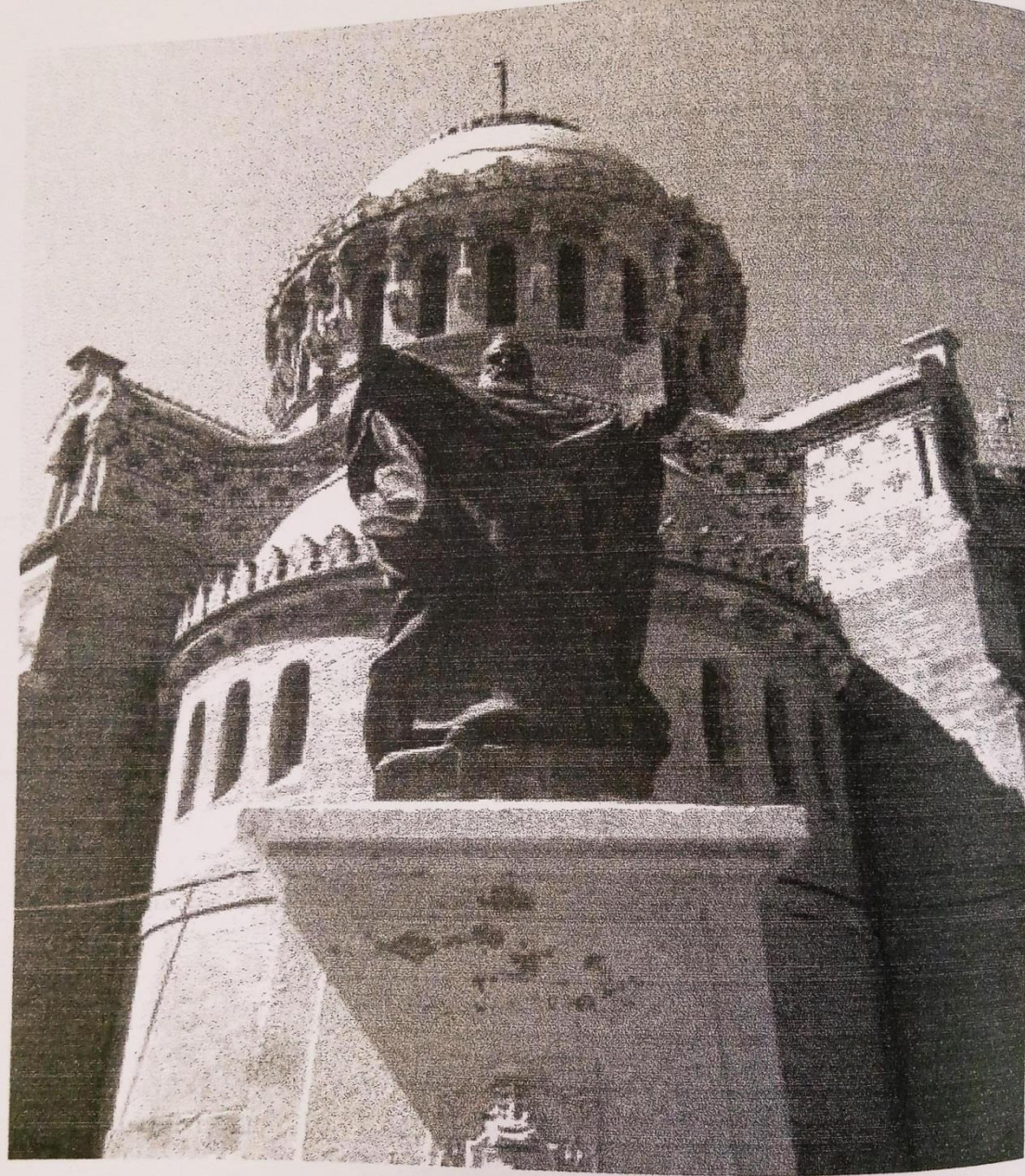
الملحق 07: من نشاطات الأخوات البيض (1)



(2) الملحق 08: الكاردينال "لافيجري" بمسالة (بسكرة)

(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 526.

(2) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 527.

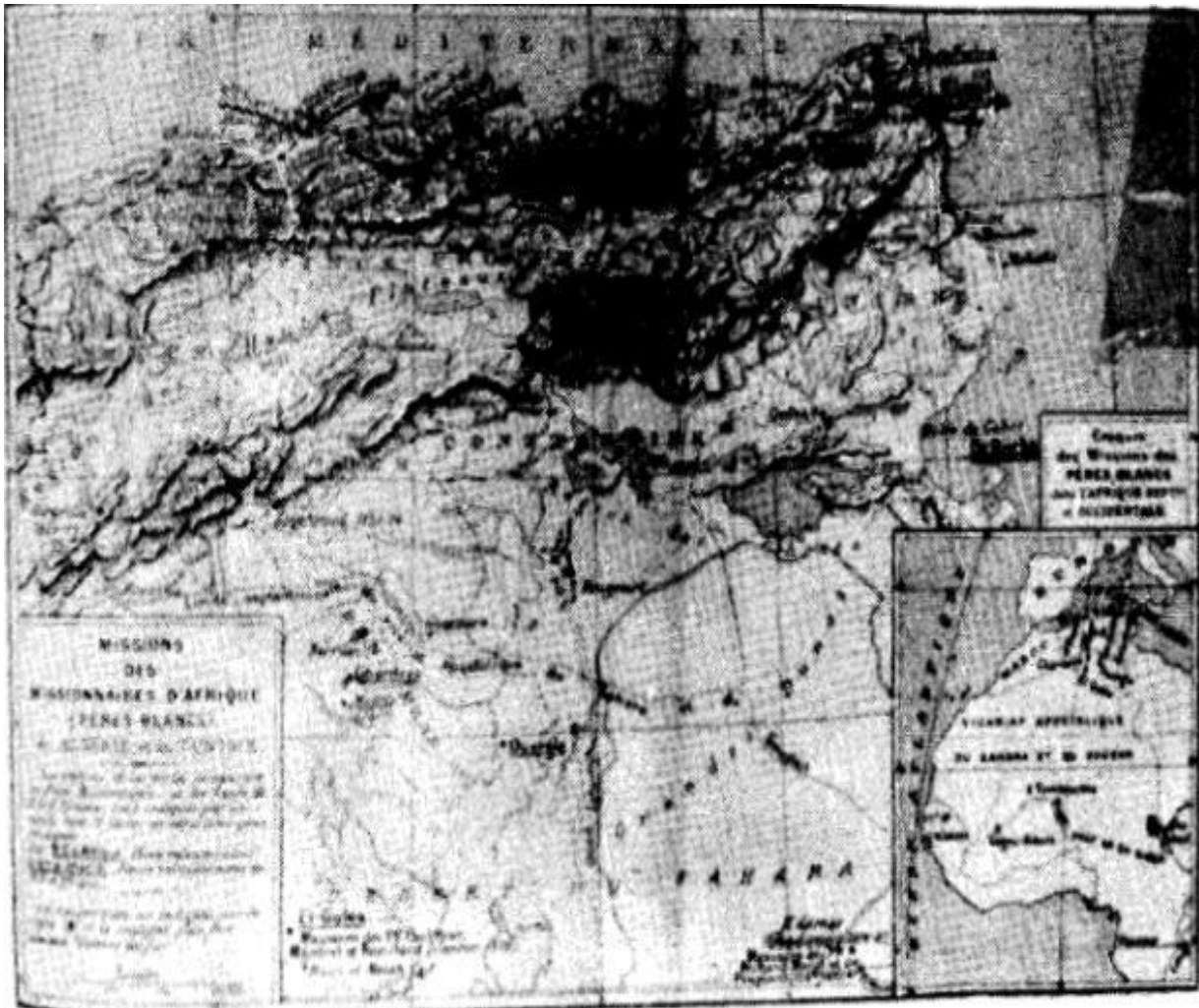


تمثال الكاردينال لافيغري الجائم على أرض الجزائر بكنيسة السيدة
الإفريقية ببولوجين بالعاصمة

الملحق 09: تمثال الكاردينال "لافيغري" كنيسة السيدة الإفريقية بالعاصمة (1)

(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 529.

الملحق 10: الإرساليات التبشيرية للآباء البيض بالجزائر وتونس (1)



(1) - خديجة بقطاش: المرجع السابق، ص 206.

الملحق 11: ارتداد بعض الجزائريين عن دينهم واعتناق المسيحية الكاثوليكية (1)

(1) - جريدة الشريعة (تكلمة التهميش)

الف وسبعمائتة مسلمة

يرتدوت عن دينهم الحنيف، ويمتدقون النصرانية الكاثوليكية

بشلم الأستاذ الزعامي العضو الاماري بلعبة العلاء للسليين الجزائر بين

كان يوم ٢٣ ماي الاخير يوم حزن وحداد على المسلمين في عاصمة الجزائر، وكان يوما من اشد ايام هذا الوطن شؤما وسوادا، فقد راينا فيه ما يذوب له القلب كندا ونما ان كان يحصل انتقال ذرة من الايمان، وراينا فيه ما يبعث في النفس الكريمة كل معاني الالم والحسرة والامس، راينا الآباء البيض ورجال الكاثوليكية يقيمون في هذا اليوم عاصمة الجزائر التلاميذ والاحتفالات احتفاء بعبادة الف من المسلمين الجزائريين قد وقعوا فيها نصيبا لهم من الاشرار والاحاسيل، فارتدوا عن دينهم التيم الحنيف، واعتقدوا النصرانية على الذهب الكاثوليكي طوعا او كرها

لقد بذل القاتلون على هذه الاحتفالات النفس ما يمكنهم ان يبدلوه من اليهود والنقلات ليصلوها شائقة فحة تجمع كل اسباب البهجة والاهتمام بللال، ليظلموا في امين الناس، وابتسم الناس بالضحك والثناء على ما فعلوا من تشهير وتصوير وليقدرون المسيحيين الكاثوليك اعالمهم هذه، فبمذونهم فبال من جديد، ويبدلون لهم الاجر والقراب

...

ورقع استعراض هؤلاء المنتصرين في ذلك اليوم (٢٣ ماي الاخير) في ملاييم الجزائرية مستعدة للسلين بان يتركوا الاسلام وليتعلقوا هؤلاء المنتصرين وكان الاجانب الاروبيون يضحكون من هذه الملابس ويغامزون عليها، كانوا لم يصدروا بعد ان هؤلاء قد صاروا نصارى، ولم يوردوا مسلمين وكانت كل طائفة من الطوائف المسيحية تود ان انها استأثرت هي وحدها بهذه التسمية البردة، وكانت خالصة لها من دون

الطوائف الاخرى

وكان منظر هؤلاء المنتصرين الذين ارتدوا عن دينهم الحنيف منظرًا مؤثرا جدا يفسد المعنم والاحزان، ويوجع البلايل والاشجان، فقد كانت تعلموا وجرحهم سحب سوداء من القم والاكتئاب تدل على ان لهم تقدسا يا كما العذاب، ويالج عليها وعلى ان بين جدرانهم تقريبا مضطربة لا يبالها شيء من الاطمئنان او الرضى، وليس على وجوههم ولا علامة واحدة تدل على انهم قد رضوا لا تقسم هذا الدين المديد او ارتاحوا اليه، وكان اكثرهم اطفالا صغارا تدمع دموعهم وارليتهم ان يتقروم او ان يتقروم لهم على ضرورياتهم، تالفتهم الميثرن المسيحيون، واستغلوا جرحهم وضمهم فاستغلوا عليهم واحسنا منهم العقائد والقروب، وكنت انا ارام يرون، نقلت في نفسي: ان اولياء هؤلاء الاطفال لم يتركوا اولادهم هؤلاء الا بعد ان بلغوا هم من الفقر والشقاء حالة ليس وراها حالة اسوأ منها، وان هؤلاء الميثرن المسيحيين اوراموا الهمة والرجولة لما رضوا لانفسهم ان يستفيدوا مما يصبها الناس من الصائب والكيكيات، والفضيت بهذا التزل الى مسلم كان واقفا الى جانبهم تسمنى احد المسيحيين فقال لي: يظهر ان هؤلاء الآباء قد احسنوا الى هؤلاء الاطفال واحسنوا اليهم انما هذا بذلك، نقلت له: كلا لم يعلموا مع هؤلاء الاطفال شيئا يريدون به وجه الله، ولكنهم اطعموهم من جوع حاجة في نفس يتقرب على انهم قد سلطوهم ايمانهم واسلامهم في مقابلة ذلك، ولما تسعر هؤلاء وتركوا الاسلام فلأحسن اليهم ليس باحسن الى الاسلام ولكنه احسان الى المسيحية نفسها، ودار بيني وبينه كلام كثير في هذا الموضوع ارجسته

الى فرصة اخرى

...

تري لماذا اهدق هؤلاء النصرانية الكاثوليكية ولماذا تركوا الاسلام وارتدوا عن دينهم الحنيف؟ فعل وجدوا فيه ما كرهه الالبان، وكرهه اليوم الحير والتقى؟ وماذا اصعبهم من الكاثوليكية حتى سارعا الى احتفالها؟

والجواب على هذا هو سهل يسير، لا صر فيه ولا عنه، فالواقع الذي لا شك فيه هو انه ليس في هؤلاء المنتصرين ولا واحد تد ترك الاسلام بله، ارادته طامعا غفارا ولكن حلقهم على التسرع عوامل اخرى غير الطوعية والاختيار وهي ثلاثة اسباب لا رايح لها، اما السبب الاول فهو الفقر واما الثاني فهو الجهل واما الثالث فهو العجز او الضعف او التصور (سبحه يا شئت) ومن هذه الاسباب مجتمعة به اننا كل الصائب والريالات، هؤلاء المرتدون لم يتركوا دينهم التيم حيا بالنصرانية ولصكبتهم تصمروا ضمنا وجعلا وحييا في الجيز، وليس في هؤلاء المنتصرين ولا واحد تصمروا حيا بلخ رشده وملك امر نفسه، بما كان جاهلا مطلقا، ومما كانت مقفرا بعدما، وانا تركوا الاسلام الى النصرانية حينما كانوا - كما لا يزال احسبهم - قرية ضعفا، ما لهم من اولياء يوسونهم عند الحاجة الشديدة والغزيرة التصوي، اوحيا كانوا يتاسقصرين لا يجدون لانفسهم في ترائب الدرر مرسيا ولا مينا، ولا وجدوا لهم بين هؤلاء المسلمين وليا ولا نصيرا، وما اتت يراجد بين الضعفاء القاصرين او الياس ولا واحدا يصنر واه في يصبه من هؤلاء البشرين مما كانت منزله في اليوم والضعف والقصور.

ان الانبياء من اشياخ الطرق الصوفية الذين جسدوا من فقره المسلمين باسم (الصدقات) و (النذور) و (الزيارات) اموالا طائلة يدعى انهم يصرفونها في اوجه البر، ويك غير الاسلام والمسلمين، ثم اسرفوا على انفسهم، وانفقوا في الاعراء والشعراء، وبلروها حيات رعدايا الى

الملحق 12: رسائل من الأب "شارماتينت" في بسكرة إلى الكاردينال "لافيجري" (1)

32 - Lettre au Père Charmetant, Supérieur à Biskra (12 avril 1873)

Comme en témoignent les nombreuses lettres que le fondateur leur écrit les pères Deguerry et Charmetant sont au premier plan dans cette période des débuts de la mission. Lavigerie fait appel à eux pour les fondations difficiles, comptant sur leur générosité et leur capacité d'initiative. Charmetant était arrivé au début du mois de mars à Biskra (Algérie) avec deux autres confrères, le père Richard et le frère Laurent. Mgr Lavigerie écrit aux pères Charmetant et Richard pour leur rappeler ou leur préciser les orientations missionnaires qu'il leur a données.

Alger,

Mes chers Enfants,

Je commencerai par gronder le Père Richard qui ne m'a pas écrit, ainsi que le veut la règle ; et cela fait, je remercie le Père Charmetant des détails qu'il me donne. Je désire recevoir par le plus prochain courrier la règle particulière de votre vie de communauté que je signerai et que je vous renverrai pour y servir de loi. Il y faudra mettre l'obligation absolue de parler toujours arabe entre vous et avec les indigènes. Sans cela vous ne ferez aucun progrès et le Père Richard n'arrivera à rien. Je vous recommande le Frère Laurent, Veillez bien sur lui et traitez-le en frère.

Mes chers enfants, vivez chez vous autant que possible ; ne faites pas de visites inutiles, surtout aux femmes, et occupez-vous des indigènes.¹⁵¹ J'approuve que vous receviez des enfants, mais seulement pour les éprouver¹⁵². Il ne faut garder ni ceux qui auraient de mauvaises dispositions morales ni ceux qui n'auraient pas d'intelligence. L'expérience est faite : nous devons faire des hommes instruits, des catéchistes, des prêtres si nous pouvons, mais non des ouvriers ou des paysans. Dans ces

termes j'accepte pour Saint-Eugène le petit orphelin de Tébessa, et plus tard les vôtres, quand vous les connaîtrez suffisamment.

Ici tout marche assez bien. Les Prémontrés partent et nous prenons la semaine prochaine Notre-Dame d'Afrique¹⁵³. Le Père Charbonnier en sera chargé. En Kabylie nous allons faire deux fondations nouvelles. Les novices ne viennent pas. Il en est seulement arrivé deux de Rodez¹⁵⁴.

Adieu, mes chers enfants, je vous bénis de loin, comme vous aime votre père en Notre Seigneur.

33 - Lettre au Père Charmetant, Supérieur à Biskra (2 juillet 1873)

Mgr Lavigerie suit de très près les débuts de ses nouvelles fondations missionnaires. Il a le souci permanent d'éviter aux missionnaires des erreurs dues selon lui à leur inexpérience ou à la sous-estimation de l'hostilité de l'administration coloniale. En même temps, il donne des nouvelles des uns et des autres, parle des autres projets, entretenant ainsi l'esprit d'unité entre tous les missionnaires.

Alger,

Mon cher Enfant,

J'ai chargé depuis longtemps le Père Terrasse de répondre au Frère Laurent. Il l'a fait, je suppose. Le mieux me semble de faire prononcer des vœux d'un an à ce bon Frère. Pendant ce temps nous finissons nos Règles. Quant à la conscription, s'il a quelques raisons spéciales, qu'il les fasse valoir¹⁵⁵. Je vous autorise à faire réparer la maison. Mais la somme que vous m'indiquez est hors de toute proportion avec le prix d'achat. Faites donc les choses le plus économiquement possible.

للكاردينال "لافيجري" بأرض الجزائر 1868م⁽¹⁾



الملحق 14: صورة لإحدى الأخوات البيض بالجزائر⁽²⁾

(1) – Jean – Cloude ceillier: Ibid, p02

(2) – Galica . bnf. Fr / Bibliothèque nationale de France.

الملحق 15: المساعدات الرسمية لملاجئ يتامى المجاعة من 1870 إلى 1875م⁽¹⁾

السنة	1870	1871	1872	1873	1874	1875
المبلغ بالفرنك	9000	37000	53550	595335	53545	53700

جدول يبين المساعدات الرسمية لملاجئ يتامى المجاعة من 1870 إلى 1875

السنة	مساعدات الحاكم للجزائر				مساعدات ليتامى المجاعة			
	1871	1872	1869	1870	1871	1872	1873	1874
المبلغ بالفرنك	80.046	10.000	275000	213000	177000	169740	181150	9000

جدول يبين المساعدات الرسمية من 1874 إلى 1889

(1) - محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص ص 158-159.

الملحق 16: كنيسة السيدة الإفريقية (1)



صورة ملتقطة لكنيسة السيدة الإفريقية في وقتنا الحالي

(1) - بطاش علي: لمحة تاريخية عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة (1871م)، دار الأمل، الجزائر، 2007م.



المركز	تأسيسه	الاخوات	المعمل	الايتام	معالجون في مستشفى	معالجون في مستوصف	في المنزل
بسكرة المعمل	1893	6	75	/	/	14200	/
بسكرة المستشفى	1895	16	/	/	465	21900	3700

الملحق 17: نتائج الأعمال التصيرية في بسكرة (1)

(1) - عبد القادر قوبع: المرجع السابق، ص 139.

الملحق 18: كنيسة اليهود بقسنطينة والتي هدمت بعد الاستقلال (1)

(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 325.

الملحق 19: كنيسة القلب المقدس (1)



(1) - سعدي مزيان: المرجع السابق، ص 325.



قائمة المصادر والمراجع:

أولاً/ القرآن:

1. الآية 25 من سورة البقرة.
2. الآية 03 من سورة المائدة.
3. الآية 14 من سورة المائدة.
4. الآية 08 من سورة مريم.
5. الآية 07 من سورة لقمان.
6. الآية 28 من سورة سبأ.

ثانياً الأحاديث:

- صحيح البخاري ج/246 كتاب الجنائز جاء ما قيل في أولاد المشركين ومسلم، ج/247 باب القدر باب معين كل مولود على الفطرة.

1. المصادر العربية:

- أولاً/ الكتب:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د.س).
2. أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985م.
3. خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق: تع: تح: الزبيري محمد العربي، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2014م.
4. شالر وليام: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816/1823م)، تق: تع: تق: العربي إسماعيل، (ش، و، ن، ت)، الجزائر، 1982م.
5. العنتري صالح: مجاجات قسنطينة، تق: تق: بونار رابح، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1980م.

- ثانياً/ الجرائد:

1. جريدة البصائر: ع/12/200م.
- 3: جريدة المبشر: ع/01/30 نوفمبر 1847م، ع/17/15 ماي 1848م.

2. جريدة الشريعة: ع24/02 يوليو 1933م.

II. المصادر الفرنسية:

- الكتب:

I. Rinn Louis: Morabouts et Khouans, édition Jourdon, 1884.

III. المراجع العربية:

- أولاً/ الكتب:

1. بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية (1830/1871م)، دار دحلب، الجزائر، 2009م.

2. بلاح بشير: تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1989م)، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.

3. (—، —): مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية (1925/1940م)، عالم المعرفة، الجزائر، (د.س).

4. بن إبراهيم الحمد النملة: التصوير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته، (د.ب)، (د.س).

5. بن إبراهيم العسكر عبد العزيز: التصوير في الخليج العربي، ط3، الدار العربية للموسوعات، الرياض، 2008م.

6. بن حمادة الجوهري إسماعيل: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1، ط4، تر: العطار أحمد الغفور، دار العلم الملايين، (د.ب)، 1999م.

7. محمود بوكسيبة: التطور الثقافي والسياسي بزوايا الطريقة الرحمانية في عمالة قسنطينة (1870/1954م)، دار الإرشاد، قسنطينة، 2015م.

8. بن نبيلي صالح فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية في العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814ق.م، 1962م، ج1، ليكون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

9. بوصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1831/1954م) دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة، (د.ن)، الجزائر، 1996م.

10. بوعزة بوضرساية: الحاج أحمد باي في الشرق القسنطيني رجل دولة ومقام 1830/1848م، دار الحكمة، الجزائر، 2012م.

11. (—،—): سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830/1930م) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، (د.ب)، (د.س).
12. بوغابة يوسف: ميادين الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و الإستعمار الفرنسي، ط1، عالم المعرفة.
13. بومعزة عبد القادر: بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، ط1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، (د.س).
14. تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931/1956م- دراسة تربوية للشخصية الجزائرية- (د.ن)، (د.ب)، (د.س).
15. توران إيفون: المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية والدين (1830/1180م)، تر: محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2005م.
16. جوليان أندري شارل: تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الإستعمار (1827/1871م)، دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2013م.
17. حباسي شاوش: من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي في الجزائر (1830/1962م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د.س).
18. الحسني محمد الهادي: من وحي البصائر، ط1، تق: ناصر صالح، (ش، د، أ، ط، ن، ت)، الجزائر، 2004م.
19. حسين ممدوح: مدخل الى تاريخ حركة التصير، ط1، دار عمان، عمان، 1995م.
20. حلوش عبد القادر: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، 2010م.
21. خالدي مصطفى: الفروخ عمر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للإستعمار العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (د.س).
22. خياطي مصطفى: الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، منشورات APNA، الجزائر، 2014م.

23. راس مال عبد العزيز: الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع (دراسة أنثروبولوجية حول صحراء تلمسان وأطرافها)، ج2، دار ثالثة، الجزائر، 2011م.
24. روبير شارل أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2008م.
25. روبير شارل أجيرون: المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية مقاومة القبائل للإدماج التفكيك وفشل مشاريع التصير والتجنيس، (تر: تق: تد: محمد العربي ولد خليفة)، ط2، منشورات ثالثة، الجزائر، 2013م.
26. الزيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج4، تر: عبد الحليم المجاوي، مطبعة حكومة، الكويت، (د.س).
27. زوزو عبد الحميد: ثورة الأوراس سنة 1879م، (ط.خ)، عالم المعرفة، الجزائر، 2013م.
28. (—، —): نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1900م)، طبعة منقحة ومزودة، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 2007م.
29. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية (1820/1900م)، ج1، (ط.ع)، عالم المعرفة، الجزائر، (د.س).
30. (—، —): الحركة الوطنية الجزائرية (1830/1900م)، مج1-2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.س).
31. (—، —): الحركة الوطنية الجزائرية (1860/1900م)، ج1، (ط.خ)، دار المعرفة، الجزائر، (د.س).
32. (—، —): تاريخ الجزائر الثقافي (1830/1934م)، ج6، دار البصائر ، الجزائر، 2007م.
33. سعدي مزيان: النشاط التصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر وأساليب المواجهة الجزائرية له (1867/1892م)، الشروق للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2009م.
34. (—، —): منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830/1954م)، (ط.خ)، سلسلة المشاريع الوطنية، (د.ب)، (د.س).

35. (—، —): قضايا ودراسات تاريخية، مطبعة النجاح، الجزائر، 2013م.
36. سعيدوني ناصر الدين: المسألة الثقافية في الجزائر، النخب، الهوية، اللغة، دراسة تاريخية نقدية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (د.ب)، (د.ت).
37. (—، —): ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م.
38. سي يوسف محمد: مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي ثورة بويغلة، دار الأمل، الجزائر، 2000م.
39. شويتام أرزقي: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهيائه (1830/1800م)، دار الكتاب العربي، (د.ب)، 2010م.
40. صالح محمد عثمان: النصرانية والتبشيري أم المسيحية والتبشير، ط.خ، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، 1989م.
41. الطهطاوي محمد إسماعيل: التبشير والاستشراق، ط1، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1999م.
42. عبد الكريم الجزائري: الدعوة الإسلامية و الإستعمار و التبشير و الصهيونية، (د.ط)، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت).
43. عبد المالك سلمان سلامة: أضواء على التبشير والمبشرين، ط1، مطبعة الأمانة للنشر والتوزيع، مصر، 1994م.
44. عبد النور خيثر: منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830/1954م)، المطبعة الرسمية البساتين، منشورات (م . و . د . ب . ح . و . ث . أن)، وزارة المجاهدين، 2008م.
45. عبد الوهاب أحمد: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1981م.
46. عدة بن داهة: الإستييطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الإحتلال الفرنسي للجزائر (1830/1962م)، ج2، ط1، دار الكوثر، قسنطينة، 2015م.
47. العسلي بسام: محمد المقراني وثورة (1871م)، دار النفائس، الجزائر، 2010م.
48. عمار حمداني: حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغبان، ثالة ، الأبيار، 2015م.

49. عمامرة تركي رابح: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1962/1931م) ورؤسائها الثلاثة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2001م.
50. عمورة عمار: بوابة تاريخ الجزائر التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م الجزائر خاصة، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.
51. عميراوي أحمد: جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، ط2، دار الهدى، عين مليلة، 2005م.
52. عوض صالح: معركة الإسلام والصلبية في الجزائر من 1830 إلى 1962م دراسة تحليلية، ج1، ط1+2، مطبعة دحلب، الجزائر، 1989م.
53. غرانميزون أولفييه: في نظام الأهالي، ط1، سلسلة المترجمات، منشورات السائحي، الجزائر، 2011م.
54. فركوس صالح: تاريخ الثقافة الجزائرية في العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال 814ق.م/1962م، ج1، ليكون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
55. (—، —): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830/1925م)، مجموعة مطبوعات الحقوق والأدب والعلوم الاجتماعية، 08ماي 1945م، قالمة، مديرية النشر بجامعة قالمة 2010م.
56. قوبع عبد القادر: الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي (1920/1954م)، دار طليطلة، الجزائر، 2013م.
57. محمد عيساوي: شويخي نبيل: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1871/1830م)، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م.
58. المدني أحمد توفيق: أبطال المقاومة الجزائرية ويلييه جغرافية القطر الجزائري، ط.خ، مج09، الجزائر، 2010م.
59. مزيان وشن: مقاومة الاحتلال بالهضاب العليا عبر العصور إقليم برج بوعريريج أنموذجا دراسة تاريخية، ط1، كوكب العلوم، الجزائر، (د.س).
60. مسعودي أحمد: الحملة الفرنسية على الجزائر المواقف والتداعيات منها 1830/1792م، ط.خ، دار الخليل العلمية، (د.ب)، (د.س).

61. مقران يسلي: الحركة الدينية الإصلاحية في منطقة القبائل 1920/1945م، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ب)، (د.س).
62. هلال عمار: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830/1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.س).
63. وعلي محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830م إلى 1904م، دراسة تاريخية تحليلية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008م.

- ثانياً/ المقالات:

1. أحمد وادي: "السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والامن الهوياتي في الجزائر"، ع2، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، أفريل 2018م.
2. أسامة مساعد، منعم مصاحب: "الأوضاع الإقتصادية العامة للجزائر في ظل الإدارة الفرنسية (1830/1962م) ومحاولات البحث عن النفط قبل الإستقلال"، مجلة بابل للدراسات الإنسانية، مج03.
3. بن الشيخ حكيم: "المشروع التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر من خلال كتاب بول ريمبو الوجوه البارزة لمئوية احتلال الجزائر (1830.1930م)"، مجلة 10، ع04، جامعة المدية، 2018.
4. بن سباع صليحة: "الجمعيات الثقافية في مواجهة سياسة التنصير في الجزائر جمعية ابن باديس انموذجا"، ع2، مجلة مجتمع تربية عمل، ديسمبر 2006م.
5. بوتشيشة عبد القادر: "لافيغري والتنصير في الجزائر ضخامة الإمكانيات والجهود وضآلة النتائج والمردود قرى العرب النصارى أنموذجا"، مجلة آفاق علمية، مج11، ع02، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2019/05/20م.
6. بوعزيز يحي: "المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة اللغة العربية، ع16، جامعة وهران.
7. الجهني مانع بن حمادة: التنصير في إفريقيا الأهداف والوسائل وسبل المواجهة، ع153.

8. حواوسة جمال: "أساليب ووسائل التنصير في المؤسسات التعليمية الجزائرية مقارنة سوسيو تاريخية"، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، (د.س).
9. خليفي عبد القادر: "سياسة التنصير في الجزائر"، مجلة المصادر، ع09، جامعة وهران، (د.س).
10. دهاش الصادق: "نتائج ثورة 1871م أبعادها ومظاهرها"، مجلة المصادر، ع14، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2006م.
11. روابحي العياشي: "الإحتلال الفرنسي لقسنطينة عاصمة بايلك الشرق الجزائري عام 1837م وردود فعل أعيان أريافها"، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإجتماعية والإنسانية، رقم05، جامعة برج باجي مختار، عنابة، 2010م.
12. زايدي عز الدين: "الجزائريون والأوضاع الصحية الجديدة خلال المرحلة الأولى من الاحتلال"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، مج 07، ع01، جوان 2021م.
13. زراري شمس الدين: "دور الزاوية الرحمانية في محاربة الإستعمار الفرنسي في الجزائر من 1830 إلى بدايات القرن العشرين"، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج06، ع02، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2021م.
14. زلاني إبراهيم: "رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر التنصير أنموذجا عرض ونقد"، مجلة إشكالات في اللغة والادب، دورية نصف سنوية محكمة، الجزائر، ديسمبر 2015م.
15. طويل حياة، آية دكتور: "التنصير في الجزائر أثناء الإحتلال"، مجلة القرطاسي، ع05، جوان 2018م.
16. عبد العزيز خواجه، داود عمر: "مؤسسة الاباء البيض الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي - ملامسة سوسيو تاريخية بمنطقة غرداية"، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، ع2، جوان 2012م.
17. عبد القادر بورمضان: الاحتلال الفرنسي لمدينة عنابة (1830/1832م)، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة عشر، ع48، يونيو 2020م.

18. غنابزية علي: "دهالسي يمينية: تأثيرات المرأة الأوروبية على الأسرة الجزائرية (1962/1830م) دراسة تاريخية إجتماعية"، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، جامعة حمة لخضر الوادي، العدد 22، جوان 2017م.
19. قرينلي حميد: أضواء على التصير والمنصرين في الجزائر (1992/1830م)، قسم التاريخ، الجزائر، (د.س).
20. لوصيف سفيان: المراكز الثقافية في منطقة الأوراس (1954/1848م) قراءة تحليلية في الفعل الثقافي والفعل السياسي، دورية كان التاريخية، ع15، 2012م.
21. محمد محادي: "الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس (1951/1931م) النشاط التعليمي أنموذجا"، المجلة المغربية للمخطوطات، ع05، عنابة، 2018م.
22. المسلماني بسام: "التصير في إفريقيا أساليبه ووسائله وأثاره"، مجلة قراءات إفريقية 3، المنتدى الإسلامي، لندن، ط1، 2015م.
23. مطمر محمد العيد: "الغزو والإحتلال الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الإجتماعية لسكان المنطقة (1884/1844م)، مجلة العلوم الإنسانية، ع10، بسكرة، نوفمبر 2006م.
24. معيط وروود: وضاح نوفل: "سياسة فرنسا الإستعمارية في الجزائر (1894/1830م) الجانب الديني أنموذجا"، مجلة جامعة تشرين للآداب والعلوم الإنسانية، مج 43، ع43، (د.ب)، (د.س).
25. مهداوي هزيل، زيدان جمال: "دور الزوايا الطرقية في تحقيق الأمن المجتمعي في الجزائر الزاوية الرحمانية أنموذجا"، مجلة دفاتر الساسة والقانون، مج11، ع3، (د.س).
26. هادف مصطفى: "المشروع الديني والقضائي الفرنسي في الجزائر وموقف جمعية العلماء المسلمين منه"، مجلة مدارات للعلوم الإجتماعية والإنسانية، ع06، باتنة، 2022/02/01م.

- ثالثاً/الرسائل الجامعية:

- رسائل الدكتوراه:

1. بن العون محمد الحاكم: المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830/1954م)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة باتنة 1، 2018-2019م.

2. بيرم كمال: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي (1840/1954م)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية الأدب والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010-2011م.

3. زين العابدين محمد: الطشو محمد: التبشير في العالم الإسلامي أهدافه وأثاره، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر، القاهرة، 1987م.

4. سليمة بولطيف: حرية المعتقد في الجزائر دراسة تحليلية قانونية على ضوء التطورات الداخلية والضغوطات الخارجية، أطروحة دكتوراه، تخصص قانون عام، جامعة باتنة 1، 2017-2018م.

5. طعبه حورية: السياسية الاقتصادية الفرنسية في عمالة قسنطينة (1870/1954م)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2019-2020م.

6. غرينة عبد النور: المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثروبولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة 1880/1962م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2017-2018م.

7. مجاهد يمينة: تاريخ الطب في الجزائر في ظل الإستعمار الفرنسي (1830/1952م)، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، 2017-2018م.

- رسائل الماجستير:

1. أسعد الهالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954/1962، أطروحة دكتوراه تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2012/2013م.

2. بومزو عز الدين: الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري إرنست مرسية نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2007-2008م.

3. خنفوق إسماعيل: دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس (1844/1931م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الأوراس، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2010/2011م).
4. عاطف أمال: الخضري محمد: التنصير في فلسطين في العصر الحديث، رسالة ماجستير، تخصص عقيدة إسلامية، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م.
5. غرينة عبد النور: الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية (1840-1939م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، 2009-2010م.
6. قرناب عبد الرؤوف: جهود علماء الجمعية في الرد على التنصير إبان الإحتلال الفرنسي (1830/1962م)، رسالة ماجستير، تخصص علوم إسلامية، جامعة الجزائر1، 2014-2015م.
7. القشاعي فلة: النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1881-1838م)، رسالة ماجستير، تخصص التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، (1990/1989م).

- رسائل الماجستير:

1. أحمد عسلي: بشرى دهاش: التنصير، تخصص عقيدة ومقارنة أديان، قسم أصول الدين، جامعة وهران 01، أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، 2020/2019.
2. سعدى نور الهدى: خيزار دعاء: جمعية راهبات السيدة الإفريقية ونشاطهم التنصيري في الجنوب الجزائري (1869/1954م)، تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021/2020م.

- الملتقيات والندوات:

1. بن عودة حبيب: أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، (ط.خ)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2008م.

2. بوعزيز يحي: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، أعمال الملتقى الثالث للتاريخ وحضارة المغرب، (د.ط)، (د.ب)، (د.س).

- الموسوعات:

1. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، الرياض، 1988م.

III. المراجع الفرنسية:

- الكتب:

1. Karima Direche–Slimani : chrétuns de Kabylie (1873/1954), une action missionnaire dans l'Algérie coloniale, ouvrage publié avec le concours du centre National du levier de de l'institut de Recherche et d'études sur le monde Arabe et Musliman (IRIMAN), Bouchene, 2004.

2. Marius–Ary Leblond : Lavigerie et les pères Blancs, Mame Découvertes Eceploits Héroiques, Série 41, Maison Meme, 1938.

- الجرائد والمجلات:

1. Marie André: Le Liberteur de l'Afrique Le Cardinal Lavigerie, Édition du Clocher, Toulouse, 1947.

IV. مواقع الإلكترونية:

1. مانع بن حمادة الجهني: التصير في افريقيا الاهداف والوسائل وسبل المواجهة، (د.س)، 2023/05/03م، الرابط الالكتروني:

https://www.noorbook.com/book/internal_download/49fe448affff91d8a61deb43bcc69b7aad0c68c8/1/9e537420bdbdaf9f65806b0a33104c

a1, p24.

2. Fidecatholica. WordPress. Com.

3. Galica . bnf. Fr / Bibliothèque nationale de France.

4. Journals. Openedition. Org.

فهرس الموضوعات

—	الشكر
—	الاهداء
أ-هـ	مقدمة
الفصل الأول / البدايات الأولى للتنصير الفرنسي في الجزائر قبل 1867م	
07	I السياسية الدينية الفرنسية تجاه الجزائر
09	II. الفرنسيون ومعاهدة 05 جويلية 1830م
13	III. نشأة الأسقفية في الجزائر المستعمرة
14	أولا / الأسقف دوبوش dupouch
16	ثانيا / الأسقف لويس أنطوان أوغستين بافي
18	ثالثا / الكاردينال لافيغري
الفصل الثاني / لمحة تاريخية عن منطقة الشرق الجزائري	
21	I. الخصوصية الجغرافية
21	1 - الاطار الجغرافي
22	2- التضاريس
24	3- المناخ
26	II الخصوصية السكانية
26	1 - الفئات الإجتماعية
26	أ - الأسرة
27	ب - القبيلة
28	ج - العشيرة
28	د - العرش
28	2 - تعداد السكان
30	III - الخصوصية الاقتصادية
30	1 - طبيعة الأرض
31	أولا : أراضي البايلك

31	ثانيا : أراضي العرش
31	ثالثا : أراضي الملك
32	رابعا : أراضي الوقف
32	2 - الصناعة والزراعة
34	3 - النشاط التجاري
34	أولا : التجارة الداخلية
35	ثانيا : التجارة الخارجية
37	IV - الأهمية التاريخية للشرق الجزائري
الفصل الثالث/ امتداد النشاط التصيري للآباء البيض نحو الشرق الجزائري	
44	I. مفاهيم عامة
44	1 - التصير
46	2 - التبشير
49	3 - تعريف الآباء البيض
53	II. وسائل التصير وعلاقتها بالأوضاع في الشرق الجزائري
53	1 - التعليم
57	2 - التطبيب
63	3 - الأعمال الخيرية
66	III. النشاط التصيري في الشرق الجزائري
69	1 - النشاط في مدينة قسنطينة
71	2 - النشاط التصيري في منطقة الأوراس
73	3 - النشاط التصيري في مدينة بسكرة
الفصل الرابع/ تواجد الآباء بالشرق الجزائري (النتائج، الإنعكاسات، المواقف والردود)	
78	I. السياسة التصيرية بين الفشل والنجاح
82	II. موقف الفرنسيين والجزائريين تجاه نشاط الآباء البيض
83	1 - بالنسبة للفرنسيين

85	2 - بالنسبة للجزائريين
94	III ردود فعل سكان الشرق تجاه نشاط الآباء البيض
94	1 - رد فعل السكان
97	2 - رد فعل الزوايا
101 - 99	3 - رد فعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
103	الخاتمة
106	الملاحق
126	بيبليوغرافيا البحث
140-128	فهرس الموضوعات